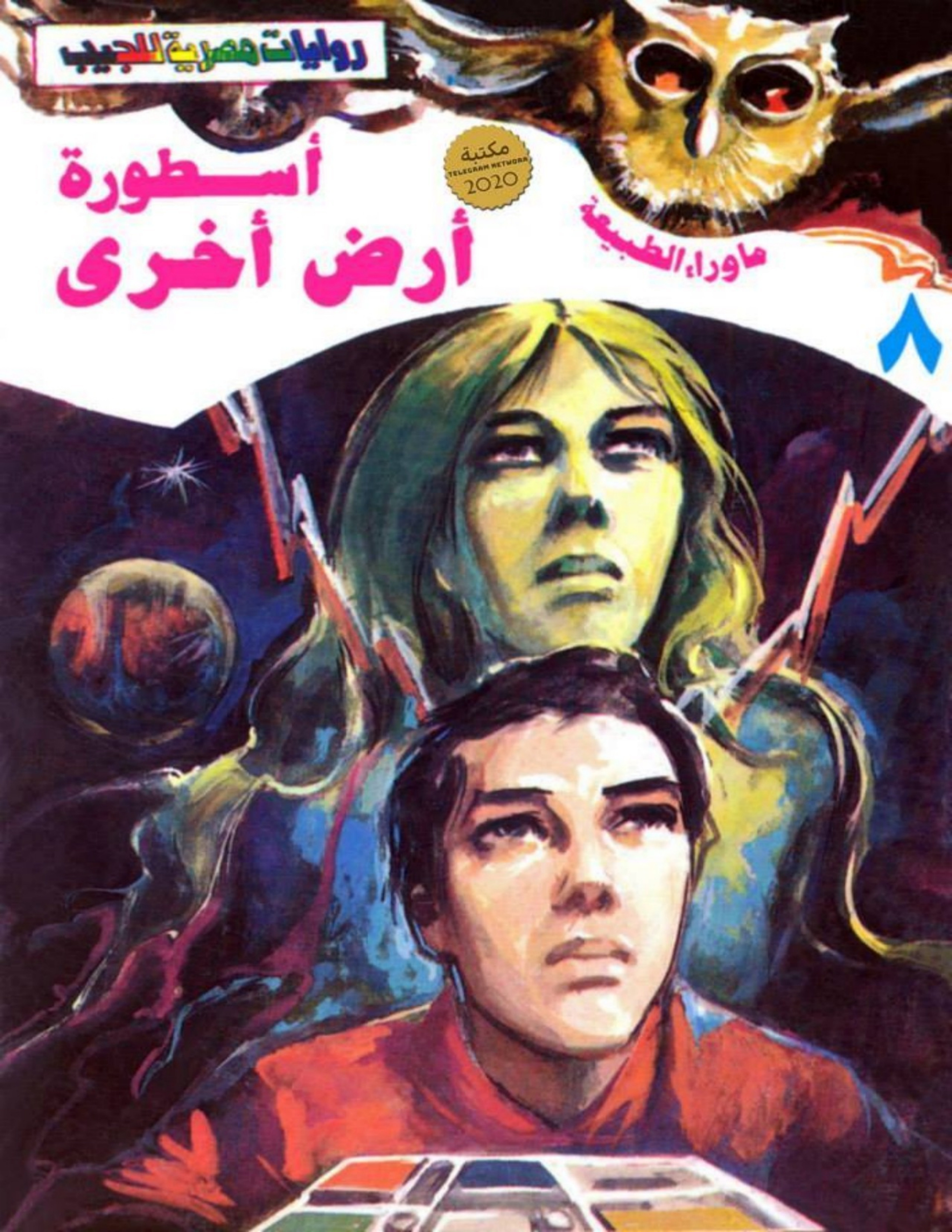

روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
أسطورة
أرض أخرى
ماوراء الطبيعة
٨


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

ما قبل المقدمة

أنا الدكتور (رفعت إسماعيل)، الذي صدع رءوسكم بذلك التقرير المختص عن نفسه، في بداية كل قصة من قصصه التي لا تنتهي..

على أنني لا أستطيع حقًا أن أقاوم تلك اللذة الخبيثة في أن أكرر ما قلته قبلًا: إنني أستاذ أمراض دم سابق.. وشيخ على حدود الأبدية..



٨
روايات مصرية للجيب
ما وراء الطبيعة
أسطورة أرض أخرى

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو
الاقتباس

●

بريشة

الأستاذ/إسماعيل دياب

●

إشراف

الأستاذ/ حمدي مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة – المطابع ١٠،٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية – منافذ البيع ١٦،١٠ شارع كامل صدقي الفجالة– ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة – القاهرة ت ٢٨٣٥٥٥٤– ٥٩٠٨٤٥٥– ٢٥٨٦١٩٧ فاكس – 202/2596650 ج.م.ع.
4 شارع بدوي / محرم بك – الإسكندرية

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة



أسطورة أرض أخرى

بقلم:
د. أحمد خالد توفيق



وصائد أشباح غير محترف - وبالطبع - غير متزوج.. اليوم - وكما عودتكم - سأحكي لكم قصة أخرى..

أسمعكم تتساءلون عن المسخ الذي سأقابله هذه المرة.. هل هو (نوسفيراتو)، أم هو رجل الجليد المفزع، أم (فرانكنشتاين)؟.. كلا يا رفاق.. اليوم لن يكون هناك رعب ولا مومياوات ولا حتى مصاصو دماء...، فقط مغامرة من نوع جديد.. مغامرة لم يكن لي أي دور فيها ولا فضل.. وإنما حكاها لي صديق جديد.. وأوصاني أن أنقلها لكم دون تحريف..

(سالم محمد شحاته).. هل تعرفونه؟.. بالطبع لا.. إنه رجل عادي إلى حد لا يوصف.. رجل تلقاه في الشقة المجاورة،

والمكتب الملاصق لك، وفي الحافلة، وعلى محطة القطار.. لكن هذا الرجل يختلف لأن له سرًا صغيرًا.. سرًا لا يعلمه أحد ولا يتخيله..

لقد جاء لمكتبي.. وفي خجل شديد ناولني رزمة من الأوراق مكتوبة بخط يد رديء.. وأوصاني أن أقرأها وأن أتبني نشرها إذا ما راقت لي...

وفي المساء بدأت أدخل عالم المرآة المسحورة.. انغمست تمامًا بين السطور.. ونسيت أن آكل أو أشرب أو أنام..، إن هذا الشاب الذي تقتحمه العين هو... هو... كلا.. لن أقولها....

إنها لقصة غير عادية، وإنني لأوثر أن أنسحب تاركًا لكم المجال كي تعيشوا

الأحداث مع (سالم) هذا..، إنها الخبرة جديدة تضاف لرصيد خبراتي..
ولا يعنيني ما إذا كانت قصته واقعًا أم خيالًا...
إنها مشوقة.... وهذا يكفيني!!

مقدمة طويلة نوعًا

أول الشهر.. يوم الرواتب في كل زمان ومكان..
أدخل من باب الإدارة متعجلًا ممتقع الوجه.. كلما لاقيت موظفًا نظر لي في هلع وإشفاق، نظرته إلى مجرم يصعد في

سلالم المشنقة.. ثم يقول لي محاولًا أن يبدو طبيعيًا (وهو ما يزيد الأمر سوءًا):
- (سالم).. المدير ينتظرك في المكتب..
لقد تأخرت - بسبب سهري المفرط - أكثر من ساعة عن موعد الحضور.. فالويل لي إذن!..
وهناك جوار مكتب الصراف، يقف عدد كبير من الموظفين والفنيين العاملين في دار النشر التي أعمل بها.. إنهم مجموعة مألوفة، ولابد أنك تعرفهم جميعًا.. كلهم ينتظرون رواتبهم..
(نور الدين) و(سلوى) يتهامسان مع ابنتهما (نشوى).. بينما بعض وحوش المشتري وعطارد العاملة في سلسلة (نوفا) تزأر بشكل مفزع...

رجل المستحيل - (أدهم صبري) - واقف يتبادل عبارات غاضبة مع (دونا كارولينا).. وما إن رآني حتى اشرق وجهه الوسيم وهتف:

- كيف حالك يا (سالم)؟.. المدير ينتظرك..!

ثم داعب خصلات الشعر الأشيب على فوديه.. وهمس:

- إنه ينوي خراب بيتك!..

وفي هذه اللحظة صرخ رجل أخضر في عصبية:

- أيها الأرضيون القذرون.. أنا الأرشيدوق (شاسا) قائد أسطول الفضاء المريخي، آمركم بأن تفسحوا لي الطريق.. أريد راتبي!...

انفعل (نور الدين) ومد يده لمسدس الليزر صائحًا:
- ولماذا لا تنتظر دورك مثلنا أيها المريخي المتعجرف؟!
مد الأرشيدوق (شاسا) يده إلى سيف الليزر.. ولوح به لامعًا مرعبًا في وجوهنا.. وصاح:
- تعال ذق هذا ما دمت شجاعًا...
وبدأت الأعصاب تتوتر.. وأيقنت أن مذبحة ستحدث هنا، خاصة وأن وحوش المشترى الهلامية بدأت تتوتر وتتحفز للقتال.. وحين تثور هذه لن تعرف أبدًا مع من وضد من تقاتل.. إنها تلتهم كل شيء، حليفًا كان أو عدوًا.. مكتبًا كان أو مطفأة سجائر..

وهنا برز راس المدير من باب غرفته، وصاح في حزم:

- ما هذه الضوضاء؟.. لا أريد غوغاء ها هنا!

وعلى الفور ساد الصمت وهدأت النفوس، كأنما بعصا ساحر.. فالواقع أن كل هؤلاء - حتى وحوش المشتري - يرغبون في قبض رواتبهم!.. وليس منهم من يتحمل تلقى خطاب الإقالة أو الخصم..

- وأنت يا (شاسا) و(نور الدين).. أعيدا أسلحة الليزر ولا تنسيا أنها عهدة، وأن من يفسد شيئًا يدفع ثمنه!..

هز الأرشيدوق (شاسا) رأسه في ذلة، وأعاد سيف الليزر إلى غمده.. فمرتبه لمدة

عشرين سنة لن يكفي لشراء سيف ليزر آخر..!

وهنا حدثت الكارثة..

التفت لي المدير.. وقال في هدوء:

- وأنت.. تعال!!

أفسح لي الواقفون الطريق، وعيونهم تنطق بالحسرة.. لسان حالهم يقول: تشجع أيها البائس...

دخلت المكتب في صمت، على حين استرخي المدير على كرسيه.. وعقد يديه فوق صدره وتنهد.. ثم قال:

- حسن..!

ابتسمت في حرج مقاومًا رغبة جامحة في الفرار.. فواصل الكلام:

- والآن هو ذا (سالم شحاتة) الكاتب الشاب الذي يعمل معي منذ عام.. ويأخذ راتبًا مجزيًا.. من أجل ماذا؟

وأخرج كراستين من درج المكتب ألقاهما أمامي قائلًا:

- القصة الأولى تدور حول رجل يخترع آلة زمن، يرحل بها إلى الماضي والمستقبل، حيث البشر منقسمون إلى طبقتين: طبقة كادحة تعمل تحت الأرض، وطبقة مترفة تعمل فوق الأرض.. هل هذه فكرتك؟

قلت في فخر:

- طبعًا.

هز رأسه في قنوط، قائلًا:

- حسن.. هناك كاتب إنجليزي اسمه (هربرت جورج ويلز) يزعم أنه هو مؤلف القصة الأصلي..

صحت في عصبية وقد صعد الدم إلى رأسي:

- لص!.. إنه لص!.. لقد سرق فكرتي الرائعة!.. سأقاضيه!

قال في برود:

- إنه كتبها قبلك بأكثر من مائة عام..!

ومد يده إلى الكراسة الثانية وشرع يقرأ:

- القصة الثانية تتحدث عن رجل يبيع رأسه مقابل الثراء والمجد الفني.. ألا تجد أنها نسخة طبق الأصل من قصة الرجل (الذي باع رأسه) لأديبنا العظيم د. (يوسف عز الدين عيسى)؟!

وأشعل سيجارًا بقداحته.. واستطرد:

- هكذا ترى يا أخ (سالم) أن الموقف يعكس ثلاثة أشياء.. أولًا أنك غبي إذ تفترض أن أحدًا لا يعرف هذه الأعمال سواك.. ثانيًا أنك لص قصص محترف.. ثالثًا إذا افترضنا أنك لم تسرق هذه القصص، فأنت ساحر حقيقي...

وأشار لي بالسيجار:

- وأنا لا أحب أن أعين الأغبياء أو اللصوص أو السحرة في مكتبي..!، وبعد كل هذا...

واحتقن وجهه:

- بعد كل هذا....

وضرب المكتب بقبضته:

- بعد كل هذا، تجيء متأخرًا ساعة كاملة عن العمل؟!

ابتلعت ريقي بصوت مسموع، ونظرت لحذائي.. ثم قلت:

- سيدي.. إن لدى أفكارًا أكثر أصالة.. فقط أعطني الفرصة كي.. أنت تفهمني...

نظر لساعته في سأم.. وغمغم:

- أعطيك ثلاث دقائق لتقول ما عندك.

قلت متلعثمًا محاولا ترتيب أفكاري:

- عندي فكرة عن رجل له شخصيتان، إحداهما خارقة للعادة، والأخرى ضعيفة خجول.

- وحبيبته تنفر من الخجول وتحب الخارقة.. مثل (سوبرمان)!.. الصحفي (كلارك كنت).. هه؟..

مسحت قطرات العرق على جبيني.. وقلت:

- فكرة أخرى عن مخلوق فضائي يعيش على الأرض، ويتعرف حياة البشر، ويأمل في العودة لموطنه.

- (إي - تي)..!.. الفيلم السينمائي الذي شاهده الجميع سواك، أو هذا ما ستحاول إقناعي به.

- إذن فكرة عن إدارة ما، بها مجموعة من الشباب، يحققون في القضايا الغامضة.. و...

- لقد قتلت هذه الفكرة.. هناك ألف قصة عن ألف إدارة بها ألف شاب من هذا النوع.. انتهت الدقائق الثلاث!

ورفع سماعة التليفون، وبدا يطلب رقمًا ما.. وهو يغمغم:

- الحقيقة يا (سالم)، هي أنك كسول وعاجز وغير موهوب.. و...

آلو؟.. (مصطفى)؟.. نعم.. كيف حالك؟.. أرجو أن ترسل لي ملف (سالم شحاتة) حالًا..!

صحت في جزع:

- المشكلة أن القدماء قد فكروا في كل شيء.. لقد سافروا في قصصهم لكواكب أخرى، وغاصوا تحت الأرض وفي الأعماق.. عادوا للماضي وزاروا المستقبل.. لقد سلبوني كل شيء.. المشكلة أنني جئت الدنيا متأخرًا بعد أن أتوا على مائدة الأفكار، فلم يبق لي سوي الفتات.

قلب كفه بمعنى أنه لا يستطيع مساعدتي.. ثم قال برزانة:

- مهما كان رأيك.. دعني أصارحك بشيء.. لو لم تأتني بفكرة جديدة خلال ثمان وأربعين ساعة، ستجد نفسك في مغامرة حقيقية.

- حقًّا؟.. شكرًا يا سيدي.. وما هي؟..

- مغامرة البحث عن طعام..!!

وهكذا.. خرجت من مكتبه ورأسي يئز كخلية النحل، بصعوبة أتبين الوجوه من حولي.. (أدهم صبري) يقول باسمًا:

- أعتقد أنك كنت موفقًا.. فلا توجد آثار دماء على ثيابك..!

ويقول لي د. (رفعت إسماعيل) وهو ينظف نظارته:

- تشجع!.. لقد واجهت مواقف أشنع من هذه في شبابي...

أما أنا فلم أكن أعي حرفًا..

* * *

١ - نسختي..!

فكرةٍ جديدة..!.. فكرة جديدة..!

عبثًا استعرضت مئات الأفكار الصالحة، لتبدأ سلسلة مشوقة دون جدوى.. حين تخطر لك فكرة رحلة في عالم القصص الخرافية، تكتشف أن كاتبًا اسمه (لويس

كارول) سبقك إليها، وكتب (أليس في بلاد العجائب)، وحين تفكر في كتابة قصة عن رحلة إلى قبائل مجهولة، بحثًا عن كنوز ما.. تدرك أن الأخ (رايدار هجارد) سبقك إليها، حين كتب (كنوز الملك سليمان)..

لا جدوى..

الباب يدق.. ويدخل (سيد) عامل المكتب، يبلغني برسالة عجيبة:

- أختك تنتظرك بالخارج.
- همم!.. وهل قالت إنها أختي؟..
- كلا.. لكنها تشبهك بشدة..
- هكذا.. الواقع أنه ليس لي أخوات ولا إخوة!..

ثم تنحنحت.. وسألته:

- هل هي جميلة؟

- قلت إنها تشبهك بشدة!!
بحثت عن رد لاذع لإهانته فلم أجد..
طلبت منه أن يدعها تدخل، وبعد ثوان دلفت من الباب فتاة ترتدي ثيابا بسيطة جدًا.. والعجيب حقًا أنها كانت تحمل ذات ملامحي.. مع مسحة من الرقة الأنثوية طبعًا، وإلا بدت مثل (فرانكنشتاين)، وكانت أكبر سنًا مني بحوالي عقد كامل..
- أستاذ (سالم)؟
- أنا هو..
ودعوتها للجلوس.. فجلست برشاقة، وابتسمت.. حتى الابتسامة كانت بزاوية فمها اليسرى مثل ابتسامتي!...
- نهارك حليب..!



ودعوتها للجلوس .. فجلست برشاقة ، وابتسمت .. حتى
الابتسامة كانت بزاوية فمها اليسرى مثل ابتسامتي ! ..

تجاهلت تعبيرها الغريب، الذي يعطي لمسة سوقية ما لا مبرر لها، وفي رزانة سألت:

- أفندم.. هل ثمة خدمة أسديها إليك؟!..

قالت وهي تعبث في شرود ذهن بالأوراق على مكتبي:

- لا أدري.. لا يوجد شيء ما أريده منك.. لكني..

وفكرت برهة.. ثم همست:

-.. لا أعرف مخلوقًا ولا مكانًا في هذا العالم سواك.. أنت ملاذي الوحيد.. هل تفهمني؟!..

آه..!.. إذن القصة هي هكذا.. هذه الفتاة منبهرة بك يا أخ (سالم).. ومن العجيب أنها لا تبدو راقية الذوق إلى هذا الحد.. إنها ليست سامية مرهفة الحس فحسب.. بل هي - ولابد. عبقرية أيضًا..!

هززت رأسي في حكمة، بمعنى أنني أفهم تمامًا ما تريد قوله.. فاستطردت:.

- إنك تحتاج إلي هذه الأيام بالذات ؛ لأنك ستطرد من العمل بعد أسبوع، ما لم تجد فكرة جيدة..!

نهضت كالملسوع.. وسألتها:

- من قال هذا؟

- لأنني أنا نفسي طردت في نفس التاريخ، منذ عشر سنوات!

هذه الفتاة تهذي، أو أن وراءها سرًا لا أعلمه.. ما علاقة طردها بطردي؟.. سألتها في ريبة:

- هل تعنين أنك كنت تعملين هنا منذ عشر سنوات؟

قالت في هدوء مستفز:

- كلا.. كنت أعمل هنا ولكن في عالمي..!

- آه..!.. هكذا فهمت!

واسترخيت في مقعدي، لاعنًا يوم اتيت للدنيا، كي أتلقى توبيخ المدير، وأصغي لهذيان الفتيات المعتوهات.. كانت عيناها تتأملان الصور الملونة للقطط الصغيرة المبعثرة تحت زجاج مكتبي.. وابتسمت في انتصار:

- آه!.. أنت تحب القطط الصغيرة؟
- لم أعرف أن القانون قد حرم ذلك.
اتسعت عيناها.. وقالت في حماس:
- مثلي تمامًا.. وطبعا تحب موسيقا (فيروز)، وتحب النوم حتى ساعة متأخرة، وقراءة الجريدة في الحمام؟!..
ملت نحوها برأسي في ذهول.. موضوع الجريدة هذا.. هناك شيء غامض يحيط بهذه الفتاة.. شعور غريب يتملكني..
- وكذلك أنت جاف القريحة وعاجز عن الإبداع.. أليس كذلك؟
- لحظة يا آنسة.. لو كنت قد جئت لإهانتي..
- كذلك أنت تحب الأكل المتبل.. وتفرط في شرب القهوة.. وعندك قرحة معدية

مزمنة.

-..........!

كنت هنا قد وصلت لمرحلة انعدام الوزن.. هذه الفتاة تعرف أدق خصوصياتي.. وتشبهني إلى حد مرعب.. ولها عاداتي.. و...

قالت وهي تلمح آثار الغباء على وجهي:

- ألم تفهم بعد؟..

- نعم.. نعم لا أفهم...

- أنا هي أنت ايها الأحمق!

❋ ❋ ❋

كنا جالسين أنا وهي في ذلك المطعم الرخيص، نتحدث عن ذلك الذي بدا لي

كابوسًا غريبًا..، كانت تزدرد الطعام بشراهة (كعادتي)، وتقول:

-.. هأنذي قد حكيت لك كل شيء عنك.. فأي إثبات تريد بعد ذلك؟

قلت لها في صبر، وأنا عاقد أناملي تحت ذقني، وقد أفقدتني كلماتها شهيتي إلى الأبد:

- دعيني أفهم مرة أخرى.. تقولين إنك من كوكب آخر.. أليس كذلك؟

- بلى.. كوكب (٤١٩-أ).. مجرة (تازما مالوري)..

- وأن هذا الكوكب يشبه الأرض في كل شيء، فيما عدا اختلافات طفيفة..

-.. لقد فهمتني..

-.. وأنك أنت صورتي الكروموسومية على كوكبكم.. يعني أنني على كوكبكم أنثى، وعلى الأرض ذكر.. ولهذا اسمي (سالم) واسمك (سلمى)..

- إنك فهمت كل ما قلته..!

- وتتوقعين مني أن أصدق كل هذا..!

- هذا شأنك..

- وكيف تأتي أنك تعرفين ما سيحدث لي؟.. هل التنبؤ بالمستقبل متاح لسكان كوكبكم؟

قالت وهي ترشف كوب الماء بعد الأكل (كعادتي):

- كلا.. لا يستطيع بشر أن يتنبأ بالمستقبل.. كل ما هنالك أننا نسبقكم بسنوات عشر.. أي أننا في عام ٢٠٠٣

الميلادي على كوكبي..، وهكذا فإن أكثر ما سيحدث لك فيما بعد، مر بي أنا..، لقد طردت من عملي في مثل هذه الأيام منذ عشر سنوات..!

- وطبعا لم تموتي جوعًا..

- دنوت من ذلك كثيرًا!

- وماذا فعلت بعد طردك؟...

تنهدت في تعب وقالت:

- التحقت بهيئة بحوث كبرى، وبدأت أدرس الإلكترونيات، وصرت باحثة لا بأس بها.. أطلب لنا القهوة أرجوك، فأنا مدمنة قهوة..

طلبت لها ما أرادت..، ثم قلت:

- لا أعتقد ان عقلي سيستوعب الإلكترونيات ولو بعد قرنين..

- كان هذا هو مصيري، وربما أن مصيرك يختلف..
ثمة العديد من الاختلافات كما قلت لك..
- وكيف وصلت إليّ؟
- حين وصلت لهذا الكوكب، وجدت نفسي قريبة من مكان عملي القديم، لهذا ذهبت هناك بحثا عن (نسختي) الكرموسومية.. قال لي العامل إن هناك موظفًا فاشلًا اسمه (سالم).. لم أحتاج لعبقرية خاصة كي أعرف من هو (سالم) هذا..
ما إن أنهت كلامها حتى طلبت منها النهوض..
- إلى أين؟
- ستعرفين فيما بعد..

- والقهوة؟..
- ششش..!

* * *

إلى صديقي القديم في مصلحة الطب الشرعي - د. (عدنان) - ذهبنا، وكان على وشك الانصراف حين طلبت منه خدمة استثنائية.

طلبت منه أن يأخذ بصماتي وبصماتها، وقطرة من دمي وقطرة من دمها، ليرى مدى تطابقهما..

لم يفهم ما أريد، لكنني كنت لحوحًا مما جعله يقتنع.. أو لعله ظن أنني والفتاة مقبلان على الزواج، ونبغى نوعًا من (الاستشارة الوراثية)..

وفي الشارع وقفت والفتاة حائرين.. ثمة مشكلة بسيطة لكنها بلا حل.. أين تمضى الفتاة ليلتها؟.. إنني أحيا وحدي، فليس من الملائم أن أستضيف فتاة حتى ولو كانت من الكوكب (٤١٩-أ).. مجرة (تازما مالوري)!

وبرغم غيظي منها، وشكي في أمرها، إلا أن نظرة الحيرة والرعب الصادقة في عينيها، جعلتني أقرر أنها مسئوليتي برغم كل شيء..

وهكذا أخذتها إلى حيث أسكن..

- ألم تتعرفي على البناية؟

- نعم.. في كوكبي أعيش في دار سكنى الباحثات بهيئة (الإلكترونات التكنولوجية)..

صعدنا الدرج إلى شقة جارتي مدام (عواطف)..، فتحت لي السيدة الطيبة الباب، فأشرق وجهها حين رأت من حسبتها شقيقتي..!

- ليست شقيقتي بل ابنة خالتي..

- سبحان الله.. تكاد تكون نسخة منك!

- حسن.. لقد وصلت ابنة خالتي القاهرة اليوم، في زيارة لصديقة لها.. فلم تجدها.. ولما كان الوقت متأخرًا..

- طبعًا.. طبعًا.. ستنام الليلة مع (هدى) ابنتي.. لا تقلق عليها...

وقبل ان تدخل (سلمى) الباب همست في اذنها:

- ولا كلمة عن مجرة (تازما مالون) هذه..

قالت مصححة في كبرياء:
- (تازما مالوري)..
- حسن.. حسن.. ولا كلمة، وإلا وجدت نفسك في مكان يضم زملاءك من القادمين من مجرات أخرى..!
وما إن دخلت حتى هززت رأسي محييًا السيدة الفاضلة، وصعدت لشقتي كي أغفو بضع ساعات أنسى فيها كل هذا..

❋ ❋ ❋

في الحادية عشرة مساء، أخذ جرس الهاتف يدق في غرفتي، في هستيريا ولهفة..
رفعت سماعة الهاتف، لأسمع صوت د. (عدنان) الملهوف المذهول:.

- (سالم).. هل حدث خلط بين عينتك، وعينة الفتاة.. أو تكرار مثلًا؟

- أولًا.. مساء الخير.. ثانيًا لم يحدث.. لقد تم الأمر بمعرفتك..

- إذن ثمة معجزة في الأمر.. إن البصمتين تتطابقان تمامًا.. أول بصمتين تتطابقان في تاريخ الطب الشرعي كله، والأدهى أن كروموسومات الدم متماثلة تمامًا..، فقط عينة بها جسيم (بار) بمعنى أنها عينة أنثى.. لقد أصابني الذهول، فطلبت إجراء اختبار توافق الأنسجة، على ما نسميه (المستضد البشري للخلايا البيضاء).. هل عندك فكرة عن الموضوع؟

- بتاتًا.. اعتبر أنك تحدث حمارًا..

- حسن.. هذا أنسب.. بدون تفاصيل يوجد تطابق نسيجي بنسبة ١٠٠٪ بين العينتين.
- ومعنى هذا؟..
قال وقد اكتسب صوته رنينًا مرعبًا:
- معناه أنك - أنت وتلك الفتاة - شخص واحد!!

* * *

٢ - أرض أخرى..

في الصباح وجدتها واقفة أسفل سلم العمارة، تنتظرني مشرقة الوجه، وقد

عقصت شعرها، فبدت كطفلة تنتظر أباها للذهاب للمدرسة..، وكنت أنا منتفخ الوجه عكر المزاج، بسبب الأرق طيلة الليل..

- نهارك حليب..!

- ما هذه الكلمة؟.. لماذا لا تقولين (صباح الخير) كالآخرين؟

- في كوكبي لا نقول سوى (نهارك حليب)..

- كلمة مستفزة حقًا..

وركبنا الحافلة.. واضح أن الحافلات في كوكبها مزدحمة مثل حافلاتنا، لأنها لم تبد مندهشة.. وحين مر المحصل، مدت يدها إلى حقيبتها لتدفع لنا، لولا أن أوقفتها نظرة حازمة من عيني.. ودفعت له أنا.. كانت توشك أن تعطيه ورقة من عملاتهم،

زرقاء اللون، عليها نصب تذكاري عجيب!!..

همست في أذني وقد فهمت ما هنالك:

- معذرة.. دائمًا ما انسى ان العملات غير واحدة في كوكبينا.

مضت الحافلة تتمايل وتهدر، حتى وصلت إلى وجهتنا حديقة الحيوان!.. نعم.. فأنا لا أستطيع تركها عند جارتي، ولا أخذها للعمل، لذا قررت أن آخذها لمكان يمكننا الكلام فيه دون رقباء.. ثم إنني سأطرد - كما تقول هي - بعد أسبوع، فلا ضير من يوم نقضيه في مرح، أنا الذي لم أر حديقة الحيوان منذ خمسة عشر عامًا..



لذا قررت أن آخذها لمكان يمكننا الكلام فيه دون رقباء ...

وهنالك جلسنا نطعم الدببة بالفول السوداني، ونتحدث..

قلت لها وأنا ألتهم بعض الفول:

- على فكرة..

- همم؟

- اتصل بي د. (عدنان) أمس، وأكد لي ما قلته.

- وهل شككت لحظة؟

- ضعي نفسك مكاني!

بدأت تحكي لي قصة حياتها، وهي تشابه قصة حياتي من وجوه عديدة.. سألتها عن سبب اختلاف جنسينا، فقالت إن تشابه الكوكبين لا يمكن أن يكون مطلقًا.. إن

الأمر كله يتوقف على كروموسوم الذكورة (واي)، إذا وصل البويضة أولًا جئت أنا ذكرًا، وإذا وصل الكروموسوم (إكس) جئت أنا أنثى..

- وكيف خطر لأبوينا أن يسميانا نفس الأسماء.. (سالم).. (سلمى)؟

- قد تكون صدفة، وقد لا تكون.. لماذا يختار الأبوان اسمًا ما؟.. إنه خلاصة تجاربهما وبيئتهما وثقافتهما.. فإذا تساوت هذه المعايير على كوكبك وعلى كوكبي، فإن هناك احتمالًا لا بأس به، أن يختار كلا الأبوين نفس الاسم...

هززت رأسي.. وناديت بائع الجرائد، واشتريت منه جرائد اليوم.. فسمعتها تبدي دهشتها من أن عناوين الجرائد مختلفة

البنط واللون عن جرائد كوكبها، وشرعت تمرر إصبعها على الأخبار في شغف..

ثم التفتت إلى وقالت إن معها في حقيبتها جريدة من عالمها.. فلماذا لا أتصفحها على حين تتصفح هي جريدتنا؟.. أخرجت من الحقيبة جريدة عجيبة اسمها (المجد) تاريخها ١٤ محرم سنة ١٤٢٣..!.. أرجو ألا يراني أحد وأنا أقرؤها..

أخبار غريبة جدًا...

"أسطول (أ.ع.م) يجري مناورات في المحيط الأطلسي..

(تايلاند) تعزز قواتها في الصين المحتلة..

بركان (الإسكندرية) يجدد ثوراته..

جمهورية كاليفورنيا تشكو في مجلس الأمن الأعمال العدوانية التي تمارسها جمهورية (فرجينيا)..
هبوط في بورصة الولايات الأمريكية الجنوبية المتحدة.."
أصابني الدوار والذهول من كل هذا الخلط.. وكانت (سلمى) في حال أسوأ.. قلت لها مبتلعًا ريقي:
- ما معنى هذا الهراء؟.. (تايلاند) تحتل (الصين)؟ بركان في الإسكندرية)؟
- وهو السخف؟.. لا توجد عندكم (أ.ع.م)؟
- وما هي؟.. إلام ترمز هذه الحروف؟
-.. (أمة عربية متحدة).. في كوكبي اتحدت الدول العربية منذ مئتي عام،

مكونة وحدة كونفيدرالية هائلة.. قوة اقتصادية وطاقة بشرية وتقدم تكنولوجي لا يستهان به..، إن أساطيلنا الجوية والبحرية تسيطر على نصف العالم..

- والقوة الأخرى؟

- هي اتحاد جنوب شرق آسيا (نادي النمور)..، ثم هناك قوة أخرى هي (الولايات المتحدة الأمريكية الجنوبية) وهي تثير الهلع في قلوب جاراتها الضعيفات، مثل جمهورية (أوهايو) ومملكة (بنسلفانيا) وسواها..!

أخفيت ضحكتي الهستيرية المريرة، على الصورة الكاريكاتورية التي ترسمها لي، وسألتها بجدية:

- وعاصمتكم؟.. هل هي (القاهرة)؟

- في (أ.ع.م) توجد ثلاث عواصم.. (دمشق).. (القاهرة)... (الرباط).. تدير. كل واحدة شئون الولايات المحيطة بها مع التنسيق التام..

سألتها وأنا أشعر أن أحدنا مخبول:

- وكيف، ولماذا جئت عالمنا..؟

قالت وهي تهز حذاءها بعصبية:

- د. (محمود بكر)، وهو عالم فيزياء في كوكبي، توصل إلى اختراع جهاز اسمه (ناقل الجزيئات).

- (تيليترانسبورتر)؟.. أليس هذا ما تعنين؟

قالت في كبرياء:

- لماذا تستخدم مصطلحًا لاتينيًا؟.. قلت لك إن مخترعه عربي..

- معذرة. فكل قصص الخيال العلمي عندنا تستعمل هذا المصطلح..

قالت:

- يقوم هذا الجهاز بتحويل جزيئات الجسم إلى طاقة يتم إرسالها بسرعة تفوق سرعة الضوء، إلى أي مكان، لتعود لحالتها هناك..، وهذا هو الحل الوحيد والممكن لارتياد المجرات الأخرى بالنسبة لكائنات فانية مثلنا..، أبدًا لن توجد سفينة فضاء قادرة على هذه المهمة.. لكن هناك مشكلة.. يجب أن يشابه الجو الأيوني للكوكب (المستقبل)، نفس الجو الأيوني للكوكب (المرسل)، حتى نضمن ألا يتغير شكل الجزيئات بعد الرحلة المريعة..

- فهمت.. لا تريدون المخاطرة بإرسال إنسان إلى مجرة أخرى، يتحول عند الوصول إليها إلى دستة من مشابك الغسيل..!

- بالفعل.. لكن الكون كبير.. وهناك مئات المجرات تشبه مجرتنا، بها عشرات الشموس التي تشبه شمسنا، حولها عشرات الكواكب التي لا بد أن أحدها قد مر بنفس ظروف كوكبنا.. وبالتالي..

قاطعتها في حماس وقد اقشعر جلدي رهبة:

- هناك عشرات الألوف من أرضكم.. أحدها هي أرضنا هذه!

- وهكذا فإنه يمكن إرسال الواحد منا - دون أدنى مخاطرة - إلى أرض موازية..،

ولما كانت قد مرت بنفس الظروف، فإن هناك احتمالًا لا بأس به أن تقابل نفس الوجوه.. وتسمع ذات الأسماء.. ونفس اللغات.. لكن هناك اختلافات عديدة كما في حالتنا هذه..

- مثير!!

- الأكثر إثارة هو أن الكواكب المتماثلة في الظروف ليس لها نفس العمر.. فكما قلت لك هناك أرض تسبقكم بعشر سنوات هي أرضي.. هناك أرض أخرى لم تزل في عصر الرومان.. وأرض في عصر العباسيين.. وأرض في العصر الباليوزي.. كل شيء ممكن...

- مثل آلة الزمن.

- كلا.. ليس هذا هو مفهوم آلة الزمن.. قد تجد ماضيًا يختلف تمامًا عن أي ماض طالعته في كتب التاريخ..

- وهل سأقابلني دائمًا في كل كوكب من هذه؟

- ليس بالضرورة.. قد لا تكون ولدت بعد.. وقد تكون مت من زمن..، وقد يكون جدك توفي قبل أن ينجب أباك..، قد تجد نفسك رضيعًا، أو عجوزًا، أو ممثلة سينما حسناء، أو ديكتاتورًا..

شردت نظرتي وهمست:

- إن.. إن هذا يثير الدوار..

تلفتت حولها في حذر، ثم مدت يدها لحقيبتها واخرجت آلة صغيرة تشبه الآلة الحاسبة..

- هذا هو.

تأملت الجهاز في خيبة أمل:

- فقط هذا؟.. إن أفلام الخيال العلمي تظهر (التيليترانسبورتر) دائمًا في صورة كابينة تليفونات.. لهذا ارتبطت في ذهني بهذا الشكل، مثلما ارتبطت آلة الزمن - للأبد - بمنظر كرسي الحلاق..

قالت دون أن تعلق على دعابتي:

- كانوا يريدون متطوعين.. وكانت هذه هي فرصتي للهرب من واقعي، أردت أرضًا أخرى لا تعرفني..، لقد أعطاني د. (محمود) برنامجًا يناسب حوالي ألف كوكب.. لكن كل كوكب أزوره يعنى انتهاء فرصتي في العودة إليه لأن دائرته تحترق..

وأشارت إلى الأرقام:
- يأخذ الكوكب رقمًا من واحد إلى ٤١٩.. ثم المجرة تأخذ حرفًا من أ إلى ياء.. بعد هذا رقم المدار.. إن الأرض - كوكبكم - هي أول محاولة لي ورقمها هو (١١٢ - ب - ٧٥).. لن أستطيع العودة لهذا الرقم لو تركت هذه الأرض..
- وكيف عرف د. (محمود) اماكن هذه الكواكب الشبيهة؟
-.. بالحاسوب.
- تعنين (الكومبيوتر)..؟
- كلا.. إنه اختراع عربي في عالمي، ولم يكن ثمة داع لتسميته باسم أعجمي..!!
باستخدام الحاسوب وقوانين الاحتمالات،

ونوع متقدم جدًا من (جبر المحددات)، توصل لحساب أماكن هذه الكواكب بدقة..
ثم أشارت إلى زر أحمر صغير:
- هذا هو زر العودة.. تلقائيًا يطلب رقم مجرتي (٤١٩-أ-٣) حيث أعود وأقدم تقريري يومًا ما.. إنه تذكرة العودة لي..
ووضعت الجهاز جانبًا وعادت تطالع الجريدة..
ألم أقل لكم إنها نسخة مني في كل شيء حتى الاهمال!؟.. قبل أن ندرك ما حدث وثب أحدهم على الحقيبة - والجهاز بها - وانتزعها وشرع يركض..
إنه لص أغراه منظر الجهاز فظنه شيئًا ثمينًا غير عالم - الغبي - أنه لن يجد

مشتريًا لجهاز (ناقل جزيئات) مهما حاول..!

صرخت (سلمى) في هلع:

- (سالم)!.. لو ضاع الجهاز أو ضغط على الزر الأحمر سيذهب هو لعالمي وأبقى أنا هنا للأبد..!

❋ ❋ ❋



قبـل أن ندرك ما حـدث وثـب أحدهم على الحقيبـة ـ والجهـاز
بهـا ـــ وانتزعها وشرع يركض ..

٣ - سجينة!

بعد عودتنا من المخفر حيث أبلغنا عن سرقة الحقيبة التي تحوى بعض المال و... آلة ترجمة متطورة ؛ كانت (سلمى) في حال سيئة للغاية، ولم تنبس ببنت شفة طيلة الطريق.. لقد غدت حبيسة عالمنا للأبد.. وبرغم تشابه الكوكبين فإنني أفهم شعورها تمامًا..

أما ما كان يقلقني حقًا فهو ذلك الاحتمال الضعيف.. لو عثروا على الحقيبة، وفتحوها.. فما هو تفسيري للعملات النقدية الغريبة، والجهاز المريب الموجود بها؟!..

قالت (سلمى) في غل من بين أسنانها:

- هأنذي حبيسة كوكبك اللعين.. أبدًا لن أرى أرضي، ولا صديقاتي ولا شارعي.. أبدًا لن أرى أرضًا سوى هذه.. والأسوأ هو أن أرضكم هذه غير صالحة للحياة أساسًا..!

قلت لها معتذرًا بلا مبرر:

- آسف على أن كوكبي لا يناسبك.. لكن هناك احتمالًا لا بأس به أن يجد رجال الشرطة حقيبتك.

ركلت قطعة حجر على الأسفلت في عصبية، حتى كادت تهشم أصابع قدميها.. وهتفت:

- وحتى ذلك الحين.. ماذا أفعل؟.. وأين أنام؟..

- من ناحية النوم لن تكون هناك مشكلة.. يمكنك أن تعودي للنوم عند جارتي..

- وأنام مع ابنتها السخيفة المملة، التي تثرثر وتطري نفسها حتى الثانية صباحًا..؟

- طبعًا.. لا يوجد حل آخر.. المهم أن تقبل هي..!

- اللعنة...

فكرت حينًا، ثم واتتني فكرة ما..

- (سلمى).. هل أنت متزوجة؟

- لا.. أنا عانس إذا كنتم تستعملون هذا اللفظ هنا..

-... نتزوج إذن..!..

اتسعت عيناها في ذهول، فأخذت أبتسم في بلاهة.. لم لا..؟.. سيكون هذا هو

المخرج الوحيد لها على هذا الكوكب.. ثم تلك التجربة المثيرة أن يتزوج الرجل نسخته الأنثوية..!، مهما توافقت طباع الزوجين فلابد من الاختلاف فالخلاف.. أما في هذه الحالة. حين يتزوج الرجل نسخة كربونية منه. فلن تحدث مشاكل.. مستحيل أن تحدث مشاكل.. امرأة تفكر مثلي، وتحلم مثلي..

دعك - بالطبع - من الفكرة النرجسية العتيدة لدى كل رجل.. لو أنه وجد زوجة تشبهه في كل شيء فلربما كانت أقل مللًا وإزعاجًا..!

صارحتها بخواطري.. فقالت بعد تحير.

- لحظة يا (سالم).. أنت تخلط ما بين (تشابه) الطباع و(تألف) الطباع..

- لا أفهم...
- أردت أو لم ترد أنا أكبر منك سنًا وأكثر حكمة..، دعني أقل لك إن (تشابه) الطباع لا يخلق زيجة ناجحة.. (تآلفها) هو الذي يفعل ذلك..
- لا أفهم..
- حسن.. عندنا فيلسوف لا أدري إن كان عندكم مثله أم لا[1].. يقول هذا الفيلسوف إن الزواج الأمثل، هو الذي يتم بين رجل لا يحب صدر الدجاجة، وامرأة لا تحب سوى صدر الدجاجة.. هل تفهمني؟.. لو أن كلا الزوجين يحبان صدر الدجاجة لغدت حياتهما جحيمًا..
- أنا أحب صدر الدجاجة.

- وأنا كذلك.. هل فهمت المشكلة؟.. إن طباعنا متماثلة..

-.. لكني سأتنازل لك عن كل صدور الدجاج في العالم، لو غدوت زوجتي؟

قالت في شرود:

- على كل حال يمكن دائمًا تقسيم صدور الدجاجة إلى نصفين..!

وقضينا طيلة اليوم نمشي في الطرقات نتجادل.. بذلت أقصى جهد ممكن كي أزيل فيلسوفها من رأسها.. قالت لي:

-.. ولو رزقنا بطفل؟.. كيف سيكون؟.. إنه أول طفل في التاريخ يولد لأبوين متماثلين كرموسوميًا.. كأننا أنتجناه بانقسام ميتوسي كالأميبا.. ولا أريد أن يكون ابني أميبا..!

- إنه سيشبهنا في كل شيء.. هذا هو كل شيء.
تنهدت.. وقالت:.
- سنندم يا (سالم).. لكني.. سأوافق...

❋ ❋ ❋

أنشودة (سالم)

هي جزء مني وأنا جزء منها...
إن لون عينينا واحد...
طول قامتنا واحد...
نحب نفس الألحان...

ونهوى ذات الأطعمة...
تدمع أعيننا حين نرفعها نحو الكون اللامتناهي...
فمن نجمة منه في مجرة ما...
جاءت هي.. ولم تحسب لحظة أنها ستكون لي...
إنها تفهم أفكاري قبل أن أشرحها...
وتضحك من دعاباتي قبل أن أقولها...
إنها لي.. وأنا لها...
فلك الحمد يا خالق الكون السرمدي...

* * *

أنشودة (سلمى)

اسمه يشابه اسمي..
إنني وحيدة في هذه المجرة بأسرها..
لكني أثق به..
أنه مني.. وأنا له..
يحب نفس العطور.. يصغي لنفس الألحان..
يشاهد ذات البرامج.. يملك نفس سذاجتي..
وبراءتي.. وحماقتي..
إنه لي.. وأنا له..
فلك الحمد يا خالق الكون السرمدي..

❋ ❋ ❋

أنشودة (سالم)

ثمة أشياء تضايقني..
أشياء قليلة جدًا..
أنها تقرأ الصحف قبلي..
تدخل الحمام في نفس اللحظة التي أفكر أنا فيها في دخوله!
تسبقني إلى مقعدي المفضل لأنه مقعدها المفضل..
أنها تفكر مثلي..
لهذا لن تدهش يومًا لفكرة خطرت لي، أو تضحك من دعابة..
أنها لا تغار علي..

ولا تنبهر بي أبدًا..!.
والأسوأ أنها تلتهم صدر الدجاجة قبلي!
لست حزينًا ولا حانقًا..
لأنها لي، وأنا لها...
فلك الحمد يا خالق الكون السرمدي..

❋ ❋ ❋

أنشودة (سلمى)

هو يملك كل عيوبي، ونقاط ضعفي، ونفس النهم في الطعام...
إنها عيوبي أنا.. أعرف هذا..

لكني - كأنثى - تمنيت منذ عرفت أنني أنثى أن يسبقني زوجي بخطوة..
مجرد خطوة..
حياتنا تتحول إلى تنازل مستمر من كل منا، عن الأشياء التي يحبها حتى لا يتهم بالأنانية..
والشنيع أنه يلتهم صدر الدجاجة قبلي..!
لست حزينة ولا محبطة..
لأني له.. وهو لي..
فلك الحمد يا خالق الكون السرمدي..

* * *

أنشودة (سالم وسلمى)

ربما كان خطأ فادحًا أن تتزوج نسخة منك..
لأنك قد لا تحتمل الحياة مع نفسك..
لكننا سعيدان برغم كل شيء..

* * *

شرع المدير يتأمل الأوراق الأخيرة في شيء من الاهتمام.. ثم أشار إلي بطرف السيجار المشتعل قائلًا:

- لا بأس يا (سالم).. إنها ليست فكرة سيئة.. أعترف بهذا..

ثم نظر لي في شرود:

- إلا أن هذه المحادثة الأخيرة بينهما.. تلك المحادثة حول صدر الدجاجة.. ألا ترى أنها متحذلقة نوعًا؟!

قلت في تواضع، وأنا أحك طرف حذائي في قماش البنطال:

- لكنها ضرورية يا سيدي

- والقصيدة النثرية الأخيرة.. إنها تقتل التشويق قتلًا..

قلت متوسلًا:

- سيدي.. أعطني فرصة لأقول ما أريد قوله..

طوى الأوراق.. وناولها لي في فتور:

- حسن.. دعني أر كيف ستتطور الأحداث.. والويل لك إذا لم تكن مسلية!!

❋ ❋ ❋

٤ - دعنا نرحل..

شهر كامل مر على زواجنا.. كان زواجًا كأيٍ زواج آخر، فيما عدا أنني لم أشتر أثاثًا، ولم أدفع مهرًا بالطبع..، وكانت أيامنا موزعة ما بين الانبهار بتشابه طباعنا، وما بين السخط على ذلك ؛ حين دق الشرطي بابي طالبًا مني أن أذهب للمخفر لأمر هام..!

كانت (سلمى) تعد لي طعام الإفطار، حين عدت لها مهمومًا.. لم يكن الأمر يحتاج لتأويل كثير.. لقد وجدوا الحقيبة.. وبالطبع ستكون هناك أسئلة كثيرة عن العملات العجيبة، وجهاز

(التيليترانسبورتر)، وعندئذ ستبدو قصتي عن الكوكب (١٤٩-أ- مجرة [تازما مالوري]) واهية جدًا وسخيفة جدًا..، ثم إنني - حين يتعلق الأمر بزوجتي - لا أرغب في أي نوع من الضوضاء..

ذهبت معها إلى المخفر.. وكما توقعت لم يتم أي شيء بسلاسة بل ظللنا ننتظر ساعتين في غرفة (النوبتجي).. ثم استدعونا لنقابل رئيس المباحث.. لقد شاهدت هذا المشهد مرارًا في كوابيسي، وأعرف تمامًا ما سيحدث لكني كنت استيقظ غارقًا في العرق قبل أن أعرف كيف سينتهي..!

ها هو ذا رئيس المباحث في غرفة يملؤها دخان التبغ.. يحيط به ثلاثة شبان

شديدو الوسامة صارمو الوجوه.. والجميع يرتدون ربطات عنق نصف معقودة على القمصان دون سترات..

وأمامه كانت الحقيبة.. وكان ودودًا مجاملًا بتلك الطريقة التي يجيد رجال المباحث أداءها.. الود المرعب..

- هذه الحقيبة تخص المدام طبعًا؟

أحنيت رأسي موافقًا..

- وماذا فيها...

قالت (سلمى) على الفور ماكنا اتفقنا عليه مسبقًا:

- نقود.. نقود مرسومة من التي تستخدم في المسرحيات.. وأوراق.. وآلة ترجمة (عربية - إنجليزية) معطلة..

ساد الصمت لحظات.. وشرع الضباط يتبادلون النظرات.. كان الجو متوترًا بشكل ملحوظ..، قال رئيس المباحث بعد دقائق:

- الآلة لا تعمل.. هذا صحيح..، لقد حاولنا إجراء عمليات حسابية بها بلا جدوى.. وقد تأكدنا عن طريق خبير إلكترونيات، أنها ليست جهازًا للتجسس.. لكنه لم يعرف كنهها على الاطلاق..، أما العملات الورقية فهي لا تشبه أية عملات على وجه الأرض.. إنها دعابة.. لكنكما ستفسران لي أين وكيف استطعتما طباعة عملات لها علامة مائية وخيط.. وأين وجدتما نوعية الورق؟!..

ثم ابتسم ابتسامة صفراء.. وأشعل سيجارة:

- والآن لنر أوراق المدام، فهي تستحق بعض علامات الاستفهام.

وأخرج بطاقة مغلفة عليها صورة (سلمى).. ولوح بها في وجوهنا.. قائلًا:

- هذه البطاقة مكتوب عليها.. (سلمى محمد شحاتة).. مواطنة رقم (٥٣/٦٢/١٢٤).. تصريحات (أ.ع.م).. وهذا ليس كل شيء.

وأخرج بطاقة أخرى من الحقيبة.. وشرع يقرؤها:

- هذه رخصة قيادة.. لأي شيء؟.. لسيارة (خوارزمي) طراز ١٤٢٢ هجرية..!

ثم فقد صبره واحمرت عيناه حنقًا:
- والآن لا تقولي إن هذا كله خاص بالمسرحية يا (مدام)...
وأطفأ السيجارة في فنجان القهوة أمامه.. وشرع يعيد على الشبان الواقفين حوله - ووجوههم جامدة كالصخر - ما قاله.. إن موقفنا صعب.. صعب للغاية.. ولن يصدقونا قبل أن نمضي معهم شهرين أو أكثر.. وبعدها لن يصدقونا أبدًا..
- والآن.. أريد تفسيرًا.
قالت (سلمى) في كياسة:
- عن أي شيء..؟
- عن كل هذا.. يبدو لي أنك قادمة من عالم آخر، له قوانينه وعملاته ورخص قيادته وبطاقاته الشخصية.

احمر وجه (سلمى) ونظرت للأرض.. لو عرف كم هو محق! ثم إنها أخذت نفسًا عميقًا يتناسب مع الأكذوبة التي تنوي قولها.. وبعد هنيهة همست:

- سيدي.. إن هذه الآلة آلة ترجمة وأستطيع إثبات ذلك..

- إذن أريني..

مدت يدها إلى الجهاز.. يدها اليمنى.. في حين أطبقت حول يدي اليمني يدها اليسرى وضغطت ضغطة ذات معني..

توتر الشبان في انتظار ما سيحدث.. قالت وهي تتحسس الأزرار بأنامل يدها المطبقة على الجهاز:

- مثلًا.. دعني اطلب رقمًا ٣٠٠٢٠٠٢٠٠

يا إلهي!.. فهمت!.. إنها تحاول الهرب أمام عيونهم. ستشغل الجهاز لتقذف جزيئاتها إلى أرض أخرى، كلا يا (سلمى)!.. لا تخالفي القانون!.. ولكن أي قانون؟.. قانون كوكبها أم كوكبي؟.. ثم لماذا تضعين الجهاز على المكتب، وتقرعين الأزرار باليد الأخرى؟..

الطبيعي أن تمسكيه باليد اليسرى وتقرعي الأزرار باليمنى.. آه!.. فهمت... لا يا (سلمى).. أنا لا أريد.. لا...

- هذا يكفي يا مدام.. هاتي الجهاز...

- لحظة يا حضرة الضابط.. (ب-٣).. ثم زر الإدخال...

- أنا لا أمزح.. هاتي الجهاز واتركي يده..!

في هذه اللحظة كانت قد أمسكت الجهاز بيدها.. وبأصبع واحدة داست زر الإدخال بالفعل..

وتلاشت الغرفة من حولنا..!

❋ ❋ ❋

الكون.. الفضاء.. النجوم..

- هل أنا أحلم؟..

- كلا.. أنت لا تحلم.. جزيئاتي وجزيئاتك تمتزج بالكون ذاته.. لم يعد ثمة كيان مادى لنا.. نحن طاقة.. روحان تبحران عبر الأبعاد الأربعة..

هل تشعر به؟.. هل تفهمه؟..

أنا وأنت فقط في الفضاء.. يدك في يدي جعلتنا في نظر الجهاز كيانًا واحدًا.. وهذا

الكيان تلاشي!..، امتزجت جزيئاتنا، وغدونا حزمة لا كيان لها..

- إنني خائف.. قولي إنك لن تتركيني أبدًا...

- ولماذا أتركك وقد توحد مصيرانا للأبد؟.. لن تعود لأرضك ولن أعود أنا.. سنجوب الأكوان معًا.. نرى مجرات أخرى.. ألف أرض وألف زمن.. وألف بلد..



ــ ولماذا أتركك وقد توحّد مصيرانا للأبد؟ .. لن تعود لأرضك ولن أعود أنا .. سنجوب الأكوان معًا ..

سنهبط في أي مكان.. المحيط.. القطب.. زائير.. مصر.. وفي زمن لا يعلمه إلا الله تعالى..

هل يؤثر هذا فيك؟.. ليس لك جسد مادي لكنك ترتجف... أنت خائف..

- هل ستظلين معي؟..

- طالما ظللت أنت معي..

- (سلمى).. ماذا لو خلط الجهاز جزيئاتك بجزيئاتي؟.. أي كائن سنصيره؟.. أربعة عيون وأربعة أيدي وفمان..!

- إنه الحلم الأزلي لكل عاشقين.. أن نصير واحدًا للأبد..

السدم النجمية تتوالى.. ألوان لا حصر لها.. ثقوب سوداء.. الكون يفصح عن أسراره لنا فقط.. أنا وأنت..

- أنا وأنت روحان يجوبان الكون بلا أجنحة، نحو أرض أخرى، ربما أكثر جمالًا ورحمة..

- هل تشعر بلذة الهرب!.. أن تلقى بأعبائك وأعضائك وتحلق؟.. إنني أقترب من سر الكون.. إن الحقيقة الوحيدة هي الإله الذي أوجد كل هذا الجمال.. ونحن جزء من كل هذا الوجود الذي لا يصدق..

نحن مجرد نمل يحيا فوق برتقالة فاسدة نتصارع.. ونحقد.. بينما الكون يردد لحنه الأعظم.. فلا نصغي..

- أنت لي وأنا لك.. قوليها.

- أنت لك وأنت لي.. هل هذا يرضيك؟...
- لن أخشى شيئًا بعد اللحظة.. فلتزأر العاصفة.

* * *

- لقد طال السفر صغيرتي.. طال...
- إننا نبحر عبر المجرات.. فلا تقلق.. انظر لهذا النجم المحترق...
يا له من حلم.. هل ترى؟
- ماذا؟..
- هناك!.. الكوكب (٣٢٢-ب-٣).. أرضنا الجديدة.. هل تراها؟..
- نعم.. نفس القارات والمحيطات وكل شيء.. كأنها صورة بالقمر الصناعي

لكوكب الأرض.. هل هذا حقيقي؟.. هل أنا بالفعل وسط كل هذا الجمال؟..

أنا بالذات؟...

- اصمت.. واستعد للتجسد.

❋ ❋ ❋

كان أول ما شاهدناه - عند التجسد - هو.. حجرة رئيس المباحث مرة أخرى!.. يا للهول..!.. لم يكن الضباط موجودين، وكان هو يرتدي سترته الكاملة.. وما إن رآنا حتى اكفهر وجهه.. وصرخ:

- من أنتما؟.. كيف دخلتما ها هنا؟.. (نصار)!.. (نصار)!

نظرت نحو (سلمى) هامسًا:

- كيف عدنا ها هنا مرة أخرى؟

همست في شيء من الفتور:
- ألم تفهم بعد؟.. هذا هو رئيس مباحث قسم شرطة الكوكب (٣٢٢-ب-٣)..!.. إنه يرانا للمرة الأولى..!
اندفع جندي الحراسة الريفي داخل الحجرة مذهولًا.. كيف ومتى دخلنا من الباب؟.. على حين شرع رئيس المباحث يوبخه:
- هأنتذا واقف على الباب كالناطور.... كيف دخل هذان؟...
قالت (سلمى) في حرج:
- نهارك حليب يا سيدي..
- ماذا؟...
- أعني صباح الخير.. كنا نريد عمل (فيش وتشبيه)، وظننا أن هذا المكتب...

- ليس هو!.. والآن أغربا من هنا..!

دفعنا (نصار) الريفي الساذج إلى باب الخروج، وهو يضرب كفًا بكف من الطريقة السحرية التي مررنا بها بجواره..، ثم عاد ليتلقى توبيخه من رئيسه..

وهكذا وجدنا أنفسنا حرين في الهواء الطلق.. في هذه الأرض الجديدة!

* * *

٥ - أرض بلا أجداد..

حين يمشي رواد الفضاء فوق القمر، أو يستكشفون مدن الفضاء في قصص الخيال العلمي، يكون كل شيء مختلفًا.. كل شيء ينبئ بالتباين الملحوظ..

أما في حالتنا هذه، فكان من المستحيل أن أبتلع فكرة أن هذه (قاهرة) أخرى.. وأن هؤلاء البشر الذين يروحون ويجيئون أمامنا، هم (كائنات فضائية).. ومن الصعب أن أصدق أن زوجتي اللطيفة هذه، هي (مخلوق من الفضاء الخارجي)!.. إن هذا لا يوصف..

نفس شوارع القاهرة المزدحمة ووجوه البشر.. في إحباط همست لها:

- دائما نفس الاختيارات غير الموفقة يا (سلمى).. هذه أرض مطابقة تمامًا

لأرضى أنا..
- صبرًا.. لابد من اختلافات.. حتمًا لابد من اختلافات.
ثم قالت وقد بدا عليها الإنهاك:
- إني متعبة.. هلم إلى دارنا..!
- تعنين دار نسختنا في هذه الأرض..؟.. لا أعتقد أن تطابق الكوكبين سيصل إلى درجة تطابق مفتاحي الشقتين.
كنا واقفين جوار إحدى محطات (الميني باص).. وكانت جواري بائعة سجائر عجوز تفترش الرصيف..، تقدم نحوها رجل يخرج ورقة نقد من جيبه، وقد بدا على عجلة:
- علبة (بابل)..!
- لا توجد عندي سوى سجائر (فينيقيا)..!

انصرف الرجل باحثًا عن ضالته عند أخرى.. أما أنا فقد استرعت انتباهي تلك الأسماء غير العادية للسجائر.. والأغرب هو منظر الجنيه الذي أخرجه لها.. جنيه ليس عليه أية صورة لتماثيل فرعونية مثل جنيهاتنا، بل نقش دقيق لتمثال (زيوس)..

لم أصارح (سلمى) بأسئلتي، خاصة وأن ذكري جنيهاتها الزرقاء لا تبرح مخيلتي.. المهم ألا يلاحظ من يأخذ نقودًا مني اختلاف العملتين، خاصة وأنهما شديدتا التشابه..

لاحظت أيضا اختلافا كبيرًا في أسماء الشوارع والضواحي المكتوبة على الحافلات.. إن لدى نظرية ما.. لكني أحتاج إلى إثبات..

لمست كتف رجل يقف بجواري، وسألته بكياسة عن طريق الوصول إلى شارع الهرم.. لم يبد عليه أنه يعرف مكانه أو سمع عنه أصلًا..

إن نظريتي تتضح.. وفي كل مكان أجد ما يدعمها أكثر.. وأكثر..

كل فندق أو شارع أو ميدان، يحمل في عالمي اسمًا فرعونيًا.. استبدل باسمه هنا اسمًا يونانيًا أو هنديًا أو بابليًا.. فندق (نبوخذ نصر).. استراحة (جلجاميش).. كافتريا (الأوليمبا).. ميدان (كونفوشيوس).. الخ..

ركبنا الحافلة إلى ميدان التحرير.. لحسن الحظ لم يلحظ المحصل اختلاف العملة.. أعطيته خمسة جنيهات.. وهكذا وجدت في

يدي كمًا لا بأس به من أوراق النقد لهذا الكوكب.. وكلها تحمل صور (يوليوس قيصر) و(زيوس) و(أبوللو)..!

وفي الميدان نزلنا.. قالت (سلمى) وقد بدأت تشعر بغرابة الأمر:

- إن هذه (القاهرة) ليس بها سياح على الإطلاق!

أشرت إلى مساحة شاسعة خاوية من الميدان.. وأيدت كلامها:

- وليس بها متحف مصري....

- هذا صحيح.. ولكن.. ما معنى ذلك؟

- معناه أننا نعيش في (قاهرة) لا تعرف الفراعنة..!

* * *

لكن السؤال الأساسي هنا هو.. هل حقًا لم يعرف هذا العالم الفراعنة، لأنهم لم يوجدوا به، أم لأنه يجهل ذلك؟.. لا أدري.. لربما يتسع الوقت لقراءة كتب تاريخهم فيما بعد.. أما الآن فإن قدمي قد تورمتا.. وأشعر أن جسدي كله هو وتر كمان قديم أنهكه العزف.. يجب أن نستريح.. فندق؟.. لا.. من أين لنا بالمال خاصة وأن الدفع في الفندق لن يكون هينًا كالدفع في الحافلة.. سيدققون في عملاتنا وحتمًا سيلاحظون الاختلاف..

(سلمى) أيضا منهكة.. أعرف هذا تمامًا لأننا ننشط معًا ونتعب معًا.. نفس نسب حمض (اللاكتيك) في عضلات ساقي وساقيها.. ونفس انخفاض نسبة السكر في

الدم.. ونفس استهلاك حبيبات (نيسل) في خلايا مخي ومخها.. لأنها - كما تعرفون - أنا أخرى..!

كنا قد وصلنا - دون أن نشعر - إلى بيتنا.. أعني بيت نسختنا..! وشرعنا نتأمل في حنين المدخل المألوف.. ونباتات الظل البائسة المحتضرة في أصصها على الجانبين.. والبواب الغافي المنهك..

ودخلنا..

عند الطابق الثالث توقفنا.. وشرعنا نتأمل لوحة الاسم على الباب:

(سليمان شحاتة).. مهندس..

إذن هذا هو أنا - أو (سلمى) - لا أدري بالضبط.. نفس اشتقاق الاسم الذي لا يمكن أن يكون صدفة..

رفعت إصبعي المتوتر لأقرع الجرس فأوقفني صوت (سلمى):

- لحظة..!.. هل فكرت فيما ستقوله له؟

- لا...

- لن تقول له طبعًا.. مساء الخير يا سيدي.. نحن نسختاك الكروموسوميتان القادمتان من كوكب آخر، ونريد المبيت عندك..!!

- بالطبع لا.. لكن ماذا أقول إذن؟.. لقد بدأت أفهم شعورها حين جاءت مكتبي أول مرة.. من حسن حظها أنني (جنتلمان).. أما هذا فلربما كان فظًا.. ولربما يستدعي الشرطة، أو يملأ الدنيا صراخًا...

ابتسمت ابتسامتي المعهودة بركن فمها الأيسر.. وقالت في حماس:

- اسمع.. الحل الصحيح هو أن ندخل ونتعرف عليه، ثم على ضوء انطباعنا نقرر مصارحته من عدمها..، أنا المدام حرمك وقد فقدت وعيي فجأة.. فماذا تفعل؟.. تقرع أول جرس تصادفه طبعًا..

- أول جرس في الدور الثالث؟

- وماذا في ذلك؟.. كنا صاعدين لعيادة الطبيب بالدور الرابع..

- لا يوجد طبيب في الدور الرابع..

- سنقول له إن هذا ما عرفناه بعد أن صعدنا..!.. والآن هيا..!

ودون كلمة أخرى، سقطت فوق ذراعي مغشيًا عليها.. حتى أنني شعرت بالذعر حقيقة لا تمثيلًا.. وقرعت الجرس في

هستيريا..، سمعت صوت مزلاج يتحرك.. وبرز وجه امرأة متسائلة..
قلت لها بضع عبارات متخبطة، توحي بمدى ذعري، وأنا أشعر برأس (سلمى) المدفون في صدري يهتز كاتمًا ضحكة.. لا ريب أنني بدوت لها سخيفًا إلى أقصى حد..



وقرعت الجرس فى هستيريا .. سمعت صوت مزلاج يتحرك ..

وبرز وجه امرأة متسائلة ..

أدخلتنا المرأة.. وأجلست (سلمى) على الأريكة، وشرعت تدلك وجنتيها في حين شرعت أتأمل الشقة الأنيقة، التي لا تمت لشقتنا في كوكبي بصلة..

إن (نسختنا) على هذا الكوكب ميسور الحال بلا شك.. هذا بالطبع مالم تكن هذه السيدة هي نسختي.. وإن كنت لا أجد أثرًا لكروموسوماتي في ملامحها الأرستقراطية..

(سلمى) تفيق.. ويا لها من ممثلة بارعة.. عيناها ذابلتان، وشعرها مبعثر ورأسها يترنح..، أما المرأة فكانت حنونًا مع شيء من الحزم..

صوت رجل يتساءل عما هنالك.. وجواره طفل صغير يرمقنا في شيء من الفضول..

تأملت الرجل.. ضخم العظام.. أشيب حليق الوجه، وكان منحرف المزاج، محمر الأذنين سميكهما بما يدل على أنه كان نائمًا منذ ثوان نوم العصر الكئيب المليء بالعرق والكوابيس....

مرة أخرى لا أجد كروموسوماتي فيه..

صافحني وأجلسني، وشرع يسمع قصتي الملفقة الصغيرة، دون اكتراث حقيقي.. ثم إن زوجته نهضت وعادت لنا بصينية عليها زجاجتا مياه غازية.. نظرت إلى (سلمى)، فوجدتها ترمق الرجل بنظرة

ثاقبة.. ثم تلاقت عينانا فالتوى ركن فمها الأيسر بمعنى أنها لا تفهم حقًا..
لربما كنا مخطئين.. لربما كانت (نسختنا) لا وجود لها في هذا العنوان، أو ربما لا وجود لها أصلًا..
من غرفة بالداخل جاء الطفل يركض حاملًا كتابًا مدرسيًا، ويردد بعض الهتافات الطفولية المبتذلة:
- راجل وست.. جم للبيت!!
نادته (سلمى) متظاهرة بالحنان.. ومررت يدها عبر شعره الخشن، ولثمت جبينه الضيق.. وسألته عن اسمه:
- شرريـ.. يـ... يف!
- الله!.. اسم جميل يا شريف!.. وما هذا الكتاب؟.. الله!.. التاريخ للصف الخامس

عشر الابتدائي!!
الصف الخامس عشر الابتدائي؟.. لا يهم.. لقد اعتدت هذا الخلط منذ سمعت عن السيارة (الخوارزمي)، وعن احتلال (تايلاند) (للصين)!
فتحت (سلمى) الكتاب، وشرعت تقرأ بصوت مسموع:
- إن (أرسطو) هو من أدخل نور الحضارة اليونانية إلى (مصر)، ولولاه لظلت (مصر) في ظلام الجهل..!!
ما هذا السخف؟!
كلنا يعرف أن الفراعنة هم آباء الحضارة الحقيقيون.. ولم يكن للأخ (أرسطو) أي فضل من أي نوع علينا.. لكن من يدري..

لربما كانت هذه هي الحقيقة على هذا الكوكب..
والآن تشكو ام الطفل ابنها لـ (سلمى) كعادة النساء:
- تصوري يا مدام انه يحب القراءة وشرب القهوة!.. تخيلي طفلًا يشرب القهوة!.. يضيع وقته مع القطط الصغيرة.. أليس كذلك يا (شريف)؟.. هل أخبر (طانط) بالمزيد؟.. إنه يقرأ القصص والمجلات في الحمام..!
ماذا؟.. هذه العادات تبدو مألوفة...
نظرت لـ (سلمى) فوجدتها مثبتة عينيها على وجه الطفل.. نظرت له فوجدت ما كنت أتوقعه..
كان يبتسم بزاوية فمه اليسرى...!!

* * *

٦ - صديق..

كما هو متوقع لم نرفع أنا و(سلمى) عينينا طيلة الجلسة عن ذلك الطفل. كان مزعجًا كثير الحركة والتظرف.. وإنني لأعجب كيف تحتمله أمه.. ربما هي نفس المعجزة التي جعلت أمي تحتملني..، وكنت قد بدأت أتبين في ملامح الزوجين، ملامح أبي وأمي في صغرهما.. أما (سلمى)، فهمست في أذني وهي تتأمل ملامح الرجل في اهتمام:

- هذا الرجل.. إنه يشبه أمي جدًا..!!
- هكذا..!.. والمرأة تشبه أباك طبعًا؟
- بالفعل..!

طالت الجلسة.. وبدأ ذلك التوتر والتململ المنذران بوجوب انتهائها يخيمان... بالطبع لن نستطيع الاستفادة منهما أكثر، ولن نجرؤ على طلب المبيت أو طلب نقود..

نهضت مؤذنًا بالانصراف، فنهضت (سلمى) معي متثاقلة.. انحنيت على أذن (شريف) وقربت فمي منها وهمست:

- وداعًا أيها العبقري الصغير.. عندما تكبر لا تحاول أن تسرق قصة من (ه. ج. ويلز)، وتقدمها للناشرين.. إذ سيفتضح أمرك على الفور..!

لم يفهم كلامي - طبعًا - وشرع يبتسم في بلاهة..

شكرنا لهم حسن ضيافتهم.. وشرعنا ننزل السلم.. عند الطابق الثاني وجدنا باب جارتنا (عواطف) مفتوحًا، وابنتها (هدى) - (هدى) هذه الأرض طبعًا - واقفة تثرثر مع صديقة لها..

همست (سلمى) في غل حقيقي.

- آه!.. إنها تلك السحلية الثرثارة!.. عندهم منها واحدة هنا أيضًا!.. إنها تطاردني في كل المجرات..!

- صه!!.. هي حادة السمع أيضًا..

* * *

هل نعود لعالم (سلمى) بعد أن أغلقت كل الأبواب دوننا؟.. إن الكون يبدو لنا الآن أضيق من سم إبرة الخياط.. لا صديق.. لا

عون.. لا نقود..، والمشكلة أننا سنواجه نفس الشيء في كل أرض أخرى.. إن اختلاف العملات يجعل ارتياد العوالم الموازية أمرًا شبه مستحيل.. وقد عرضت على (سلمى) أن ننهي كل هذا.. فقالت:

- ربما أفعل..، ولكن في اللحظة الأخيرة قبل أن نقضي جوعًا..!.. ليس الآن حتمًا..

وهكذا نمضي مطوحين قامتينا مجرجرين أقدامنا في الطريق..

متشابهين كتوءمين.. متشابكي الأيدي كعاشقين.. حائرين كذبابتين.. تعسين كطفلين حرما من حيوانهما المدلل..!

المدينة هي المدينة.. الوجوه نفس الوجوه.. الشوارع ذات الشوارع.. لكننا

غريبان!..، نعرف الجميع بينما لا أحد يعرفنا..
ترى أية مغامرة مجنونة أقحمنا نفسينا فيها..!
لكن ما كان يعزينا، هو أن لدينا بابًا خلفيًا جاهزًا للهروب منه، حين تسوء الأمور أكثر من اللازم..، قد تتكاثف السحب لكنك تعرف أن القطار ينتظرك، وأن تذكرة الرحيل في جيبك..، أن تهرب.. إلى أين؟.. لا يهم.. المهم أن ترى وجوهًا أخرى وأماكن أخرى وتشم روائح جديدة..
قالت (سلمى) وقد شعرت بما أشعر به:
- نعم.. أنا أيضا أحلم مثلك.. لكننا لم نهرب (إلى) هذا الكوكب كي نهرب منه بعد ساعات..!

إن هذا النوع من المفاجآت لم يعد يثير دهشتي.. إن تفكيري وتفكيرها متزامنان ومتطابقان، إلى حد مفزع.. يكفيني أن أفكر في شيء ما، حتى أتأكد من أنها تفكر فيه في ذات الوقت..

قلت في سخرية مريرة:

- المشكلة هي أنني جائع..

- إذن فلنأكل.. إن معك ما تبقى من نقود الحافلة..

اشتريت بعض الساندويتشات.. ومضينا نلوكها ونرمق المارة في لا مبالاة..، أدركت أنها - وقد أنهت ساندويتشاتها - لم تزل جائعة، لأن الجوع كان يعتصر معدتي أنا.. ناولتها ساندويتشاتي.. نظرت

لي في حنان، وابتسمت ابتسامة صفراء حزينة، ثم بدأت تأكل..

والآن أشعر أنني امتلأت ولم أعد بحاجة للمزيد...

*   *   *

فجأة صرخت (سلمى) في حماس أنها تذكر هذا الشارع تمامًا.. إنه الشارع الذي يعيش فيه (د. محمود) في عالمها...

- د. (محمود) من؟

- إنه ذلك العالم.. مخترع جهاز (ناقل الجزيئات).. هل نسيته؟

- طبعًا.. كأنك حكيت لي عنه منذ قرون..

- إنه رقيق الحاشية، دمث الخلق، وليس من ديدنه طرد المعتوهين الذين يزعمون أنهم من كوكب آخر.. فلماذا لا نرى إن كان عندهم واحد منه هنا؟..

قلت لها في تؤدة:

- وهل تظنين أنه سيعرفك؟.. إذا كنت أنت - أو أنا - مجرد طفل سخيف على هذا الكوكب ؛ فلماذا تفترضين أننا لن نجد عالمك هذا طفلًا رضيعًا، أو لا وجود له على الإطلاق؟!

- لا أعتقد أنه كان طفلًا في يوم من الأيام.. وعلى كل حال لن نخسر شيئًا..

وشرعنا نجر أقدامنا المنهوكة شاعرين أن أحذيتنا هي أدوات تعذيب شيطانية، من عهود محاكم التفتيش.. مدخل البناية

الرطب والسلالم.. الطابق الثاني.. ثم.. الباب..

عندهم د. (محمود) بالفعل في هذا الكوكب.. ويمكن لـ (سلمى) أن تسترد أنفاسها المبهورة.. لكن المشكلة هي أن اللافتة تقول إنه (خبير آثار) مما ينفي تمامًا أن يكون نفس الشخص.. لكن (سلمى) أعلنت - في ثقة - أنه هو المقصود.. لأن (محمود بكر) في عالمها كان يهوي الآثار إلى جانب مهنته كعالم فيزيائي..، إنها تلك الاختلافات البسيطة الضخمة بين الكوكبين، ولربما كان هذا ال (محمود) يهوى الإلكترونيات هنا!! لم أبد متحمسًا، لأنني رأيت كل هذا بلا جدوى على الاطلاق...

انفتح الباب - عندما قرعنا الجرس - عن رأس اصلع، ووجه كالح، كث الشارب.. إنه هو!.. هذا واضح.. لأن (سلمى) كادت تنسى حذرها وتهلل وتقفز عند مرآه، لولا أن طقطقت بلساني محذرًا.. كادت تنسى - الحمقاء - أن زميل العمل العزيز هذا لم يرها في حياته!!..

قالت في صوت يتصنع الرزانة، (وإن بدا متهدجًا نتيجة تأثرها):

- دكـ.. دكتور (محمود)؟

قال في دماثة ورقة حاشية (لحسن الحظ):

- أنا هو..

- نهارك حليب...

فتح فاه ليقول شيئًا إلا أنها بادرت بالكلام:

- أنا (سلمى).. وهذا زوجي..

هز رأسه في رقة، بمعنى أن ما تقوله جميل، لكنه لا يعنيه على الإطلاق..

- هـ.. هل.. يمكننا الدخول؟

- لا..!

قالها كسدادة مصوبة إلى حلقها.. دمعت عيناي ضحكًا على الرغم مني.. لكن (سلمى) لم تيأس:

- دعني أتحدث لحظة.. أنت د. (محمود بكر)..

- هذا اكتشاف لا باس به..

- في طفولتك كنت تهرب من المدرسة، وتفتش عن كنوز وهمية مدفونة في حدائق الجيران..

كاد الباب يغلق في وجهها، لولا أن بادرت بوضع قدمها في فرجته لتمنع غلقه.. وواصلت الكلام في حماسة وسرعة:

- في الجامعة كنت تخفي ثقبًا في حذائك، عن طريق السير بشكل مفتعل.. لكن صديقك كان يسخر من هذا ويسمى حذاءك (حذاء أبي القاسم)..!

بدأت مقاومته تلين نوعًا، حيث وقف خلف الباب..

-... وكان والدك يصر على أن تكون محاميًا لكنك خذلته.. و...

وهنا كانت مقاومته قد انتهت تمامًا.. فتح الباب، وألف علامة استفهام ترتسم على

وجهه، وقطرات من العرق البارد تحتشد على جبينه.. وفي بطء همس:
- أرجوكما أن تدخلا..!

* * *

- هذه هي قصتنا..
قالت (سلمى) وهي تكوم قشور اليوسفي توطئة لأن تضعها في مطفأة السجائر أمامها.. كنا جالسين في غرفة الصالون التقليدية المتظاهرة بالفخامة، والتي تراها في كل بيت مصري حتى على هذا الكوكب.. وكانت زوجته تصب لنا الشاي بيد مرتجفة، وهي تختلس لنا النظر.. واضح أنها لم تبتلع بعد فكرة أن تجلس مع كائنات من (الفضاءِ الخارجي).. أما د.

(محمود) فكان منفعلًا ومتحمسًا إلى حد لا يوصف..
قال لنا وهو يهرش في صلعته:
- لولا أنكما أخبرتماني بأدق أسراري، لما صدقت حرفًا.. كنت أظنكما نصابين، خاصة وأن حالة ثيابكما توحي بذلك!
قالت (سلمى) وهي تقشر ثمرة يوسفي أخرى:.
- الواقع أنني اتبعت هذا الأسلوب من قبل مع (سالم) في لقائنا الأول، على أنني كنت محظوظة.. لقد أخبرني د. (محمود) في كوكبي بالكثير عن نفسه لأنه..
واحمر وجهها قليلًا.. واردفت:
-.. كان يريد الزواج مني..!

يا لها من كلمة!.. إن الموقف عجيب حقًا، لكنني شعرت بعدائية مفاجئة تجاه د. (محمود) الجالس معنا، برغم أنه لا ذنب له في الموضوع.. وفي عيني زوجته التمعت نظرة غيرة حاقدة، وهي ترمق (سلمى) كأنها تقول: كيف يعجب زوجي - أو حتى نسخته - بهذه المخلوقة؟!

قالت (سلمى) لتزيل آثار اعترافها الأحمق:

-.. ولحسن الحظ أنك لم تختلف عنه كثيرًا في هذه الذكريات..

-.. فيما عدا أنه متزوج طبعًا!.

كنت أنا قائل هذه العبارة حين شعرت أنها ستزيد الطين بلة لا محالة.. وبدأت أسأله عن أحوال هذا الكوكب.. وعن

الاختلافات غير العادية التي لاحظتها أنا و(سلمى) طيلة اليوم.. فماذا يعرفون عن الفراعنة؟ ولماذا لا يعترفون بفضلهم؟..

قال لي وهو يبتسم في ثقة العلماء المحنكين:

- الفراعنة؟.. ماذا تريد معرفته عنهم؟.. حفنة من الرعاة احتلوا وادي النيل لفترة ما.. ثم تركوه..!!

- هكذا..!.. وهل لا توجد عندكم أهرام، أو (أبو هول)؟

- لدينا بالطبع.. وما علاقة ذلك بالفراعنة!!.. إنها لمسات الحضارة اليونانية البارعة في مصر..!..

كدت انفجر غيظًا من هذا الخلط

- و(الكرنك) و(الدير البحري) و(فيلة)؟!

بدت على وجهه معالم الحيرة والغباء.. فأدركت أن الأمر فيه اختلاف في المسميات لا أكثر.. لهذا قلت له موضحًا:

- معابد.. في الصعيد.. جنوبًا..

- آه!.. تعنى معابد (ديانا) و(أبوللو) الموجودة بالأقصر؟.. لماذا لا تسميها بأسمائها؟!

أرجو أن يمسك بي أحدكم قبل أن أهشم وجه هذا المعتوه..!.. ألا يفهم هؤلاء القوم معنى كلمة (طراز)؟.. ألم يلحظوا اختلافًا ما بين آثار الفراعنة، وبين المعابد والتماثيل اليونانية؟.. إن الطراز الفرعوني الأصيل لا يمكن خلطه مع أي طراز آخر.. لكنه. كالعادة - كان يملك تفسيرًا مقنعًا (له هو طبعًا)..

- إن اليونانيين قد نجحوا في إضفاء أكثر من نمط للطراز في كل بلد زاروه.. وكان أسلوبهم في (مصر)، يختلف عن أسلوبهم في (اليونان).. وهذا دليل آخر على عبقريتهم..!!

- و... وتماثيل الملوك وغيرهم..؟

- كلها يونانية طبعًا..!.. ألم أقل لك إنهم غيروا طباعهم لتناسب البلد؟

- والهيروغليفية؟.. هل هي لغة يونانية أيضًا؟!

- إنها لغة سرية خاصة بالكهنة المصريين.. لكن لماذا نحتاج إليها طالما أن (هيرودوت)2 لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وحكاها؟!

هنا اعتدلت في جلستي.. لقد بدأت أفهم..

- هل تعني أنكم لا تعرفون اللغة الهيروغليفية؟!
- نعم..
- و... حجر (رشيد)؟..
مرة أخرى تبدو علامات الغباء على وجهه..، سألته عن (نابليون بونابرت)، والحملة الفرنسية على (مصر) فقال لي إن هناك (واحدًا) بهذا الاسم حاول غزو (مصر) في أواخر القرن الثامن عشر، إلا أن الأدميرال البريطاني (نلسن) نسف أسطوله عن بكرة أبيه في البحر الأبيض المتوسط...
رفعت رأسي نحو (سلمى)، التي جلست تثرثر مع الزوجة في أمور نسائية بحتة، مثل أسعار الخضر وأسماء العطور

والأقمشة على هذا الكوكب.. لم تكن على استعداد السماع ما دار في خلدي من خواطر...
إن هذا الكوكب هو جنتي..!.. حتمًا هو كذلك..!

❋ ❋ ❋



مرة أخرى تبدو علامات الغباء على وجهه .. سألته عن (نابليون بونابرت) ، والحملة الفرنسية على (مصر)

٧ - كوكب الحمقى..

طيلة الليل ظللت أذرع غرفة الفندق كالأسد الحبيس.. أدخن سيجارة وهمية هي قلمي.. وأحدث أشخاصًا لا وجود لهم.. وأضحك من نكات لم أسمعها..، كانت الأفكار تتصارع في رأسي، حتى أنها ليسحق بعضها البعض.. أكثر من فكرة رائعة قضت عليها فكرة أخرى...

إن أمامي مستقبلًا رائعًا.. رائعًا إلى حد أنه يثير الرعب في نفسي..

أما (سلمى) فكانت جالسة على الفراش، وقد أسندت ذقنها على ركبتيها، وضمت

كفيها أمام ساقيها ترمقني بعينين خرساوين..، ثم تكلمت بعد هنيهة:
- هل فقدت صوابك أخيرًا؟.. كنت واثقة أن هذا سيحدث..!
- هه؟.. هل تريدين شيئًا يا ملاكي..؟
- هل جننت؟
توقفت عن الدوران في الغرفة ورفعت يدي للسقف:
- لقد قدم لي د. (محمود) هذا هدية العمر..
- لا تبالغ.. إن مبلغ المائتي جنيه هذا هو قرض للمبيت في الفندق... و...
- كفي عن الحماقة يا (سلمى)!!.. إنني أتحدث عن مصير البشرية كلها، وأنت تفكرين في المال.. هل سمعت ما قال؟..

ثم إنني جلست على الأرض جوار الفراش، وشرعت أرسم على السجادة خطوطًا وهمية بإصبعي السبابة لأؤيد كلامي:

- قال إن (نابليون بونابرت) لم يدخل (مصر) بتاتًا لأن (نلسن) قد دمر أسطوله في البحر المتوسط..، إن الحملة الفرنسية على (مصر) كانت حملة فاشلة تمامًا، وقد لاقت مقاومة عاتية، لكنها على الأقل نجحت في إدخال الطباعة لـ (مصر) وإخراج كتاب (وصف مصر).. ثم فك رموز اللغة الهيروغليفية اعتمادًا على الجهود الباسلة لعالم الآثار الفرنسي (شامبليون).. وهذا هو بيت القصيد..

وضيقت عيني في غموض:

- والآن.. كان (بونابرت) يلعب لعبة المساكة مع الأسطول البريطاني عبر أمواج البحر المتوسط.. ووصل (مصر).. ووجد (حجر رشيد) الذي كان هو مفتاح رموز تلك اللغة..

ورفعت إصبعي السبابة مؤكدًا كلماتي:

- لو وجد (نلسن) اسطول (بونابرت) لدمره.. ولتغير وجه التاريخ.. وهذا هو ما حدث في هذا الكوكب..!، دمر (نلسن) أسطول (بونابرت).. لم يعثر أحد على (حجر رشيد).. لم تتكشف أسرار الهيروغليفية.. لم يفهم أحد أية حضارة هائلة كانت هنالك.. ظلوا يعتمدون على أكاذيب المؤرخين اليونانيين.. وظلوا يؤمنون أنهم قوم بلا حضارة ولا تاريخ..!

بدأت علامات الاهتمام تغزو وجه (سلمى).. وسألتني:

- وما هو دورنا في كل هذا؟

- ألم تفهمي بعد؟.. إننا نحن المحظوظان الوحيدان اللذان وقعت عليهما مسئولية إخبار هذا الكوكب بتاريخه!!.. نحن من سنهدي لهؤلاء الحمقى معرفة أجدادهم.. سيعرفون تاريخ كل الأسر الفرعونية، منذ الأسرة الأولى وحتى عهد البطالمة.. سيفهمون كل ما كتب على الجدران والمسلات وقواعد التماثيل..، إننا - أنا وأنت - سنقود هذا الكوكب إلى المعرفة!

- أنا وأنت؟

- أنت وأنا..!

* * *

قال د. (محمود) وهو يجد السير عبر أروقة ذلك المبنى:

- أتعشم أن تكونا قد نمتما جيدًا..

قلت لاهثًا وأنا أحاول اللحاق به، ومئات الأسئلة تزدحم في راسي:

- رائع.. أشكرك كثيرًا..

- كان الواجب أن تناما عندي، لكنكما تعرفان الظروف.. و... لا تشكرني.. إن هذا هو واجبي نحو صداقتنا العتيدة - أنا والمدام (سلمى) - على كوكبها**!!**..

وعند أحد الأبواب الجانبية دلف وأنا خلفه.. و(سلمى) خلفنا..

كانت قاعة كبيرة مظلمة إلى حد ما.. انتظرت بضع ثوان حتى اعتادت عيناي الظلام.. كان هناك عدد لا بأس به من الأشخاص الجالسين حول مائدة طويلة، تشبه موائد الاجتماعات.. وكانوا جميعا يرمقونني في حدة وشك، ودخان التبغ يفعم هواء الغرفة، مما جعل الرؤية ضبابية تمامًا..

قال لي د. (محمود) وهو يشير بلامبالاة إلى الجالسين:

- اقدم لك السادة الجالسين.. هذا هو الدكتور (...) من هيئة الآثار.. اللواء (...) من شرطة الآثار.. العميد (...) من كذا.. الأستاذ كذا من كذا.. الدكتور فلان.. البروفسير علان... الخ...

وكنت قد نسيت كل شيء تقريبًا حين انتهى هو من تعريف آخر الجالسين، فيما عدا رجلًا واحدًا يرتدي بذلة أنيقة مدنية، ووجهه في الظلام خارج دائرة الضوء..
قلت لـ د. (محمود) متسائلًا:
- وهذا؟.. هل هو (رقم صفر الذي لا يعرفه أحد)؟!
لم يضحك.. ولم يضحك واحد من السادة المهمين، الملتفين حول المائدة لمحاكمتي، على شيء لا أدري ما هو بالضبط..، إن رغبة جنونية في الفرار تطاردني لكن الأوان قد فات للأسف..
- اجلس..!
جلست في حذر.. وأنا أشعر أنني نسيت كيفية الجلوس..

- استرخ..!

هكذا أمرني سعادة اللواء الذي نسيت اسمه.. فاسترخيت على الفور..

- اهدأ بالاً..!

أمرني بذلك أحدهم.. فهدأت بالًا على الفور..!

بدأ الرجل ذو الوجه الغامض يتحدث بنبرات رزينة واثقة.. كان يرحب بي وزوجتي في بلدنا (مصر)، حتى وإن كان على بعد ملايين الأعوام الضوئية من بلدنا الأصلي.. وقال إنه يأمل أن يؤدي تعاوننا إلى فتح جديد في التاريخ، لأنني - إن كنت صادقًا - سأكون شخصية القرن وسيكون وصولي لعالمهم أهم حدث منذ اكتشفوا

الكهرباء.. أما إذا كنت - لا سمح الله - كاذبًا..!

وهنا أحسست بالقشعريرة تزحف عبر عمودي الفقري.. لا داعي لأن يكمل كلماته..، لم يكونوا على علم بجهاز (ناقل الجزيئات).. كل ما كانوا يعلمون هو أننا قذفنا بشكل ما إلى عالمهم.. وهكذا يظل عندي باب خلفي لا بأس به للهرب لو أرادوا بي سوءًا..

- والآن حدثنا عن (حجر رشيد).

ابتلعت ريقي.. وبدأت أتكلم بصوت متهدج في البداية:

- إنه ذلك الحجر الذي وجدته الحملة الفرنسية قرب (رشيد).. وكان عليه نص بثلاث لغات.. الهيروغليفية واليونانية

والديموطيقية.. وقد تبين (شامبليون) العالم الفرنسي أن الفراعنة كانوا يدونون اسم الملك في إطار مستطيل منحنى الجوانب، هو (الخرطوش).. هكذا أمكنه استخلاص الأبجدية الفرعونية بمجرد المقارنة..

خلع البروفسير (...) نظارته.. وسال:

- ثم؟..

نظرت حولي في غباء.. ورفعت يدي:

-.. ثم لا شيء..!

- هيه!.. لن تقول لنا إنك لا تعرف المكان الذي وجدوا فيه (حجر رشيد) في عالمك.. أليس كذلك؟!

- نعم.. وجدوه عند (رشيد)..!

- هذا واضح.. لكن ما هي إحداثيات المكان؟.. إن (رشيد) ليست شجرة نحفر

تحتها حين تعتلي الشمس الأفق..
- لم أكن - طبعًا - مع الحملة الفرنسية حين وجدت الحجر..
- إذن أنت تعرف هذه الحروف الهيروغليفية؟
- للأسف لا...
- إذن ماذا نفعل؟.. وما المساعدة التي قدمتها لنا؟
لا شيء في الواقع.. إن هذا درس طيب لمن يهوى السفر بين العوالم الموازية: لا تنس أن تأخذ معك قاموسًا اللغة الهيروغليفية!
قال د. (محمود) في تؤدة محاولًا تهدئة التوتر المخيم:

- أستاذ (سالم).. إذا لم تستطع أن تقودنا إلى (حجر رشيد)، يمكنك على الأقل أن تخبرنا بمكان نص تعرف ترجمته.. وبالتالي يمكننا إجراء المقارنة على طريقة (شامبليون) الشهيرة هذه..

هرشت رأسي مفكرًا.. وهنا ارتفع صوت (سلمى) للمرة الأولى:

- سيدي.. لقد قام (رمسيس الثاني) بكتابة اسمه على الكثير من المسلات والمعابد، حتى تلك التي لم يبنها.. ستجدون اسمه مكتوبًا مرارًا عند معبد (الكرنك) و(الدير البحري)، أيًا ما كان اسمهما عندكم.

- و(تحتمس الثالث) أزال اسم والدته (حتشبسوت) من فوق آثارها، ليكتب اسمه هو...

مضى الرجال يدونون ما قلته في اهتمام.. وسكرتيرات قلقات يهرعن هنا وهناك، حاملات رسائل يبدو أنها هامة جدًا إلى (جهات معنية) في مكان ما..

وهكذا مضى الاستجواب الذي استغرق أربع ساعات أو أكثر.. كنت أنا و(سلمى) نعتصر خلايا ذهنينا، لاستخراج كل ما نذكره؛ ربما منذ دراستنا الابتدائية عن الفراعنة.. أبدًا لم نفطن لجهلنا المروع بالتاريخ الفرعوني، إلا حين وجدنا نفسينا بحاجة لتذكر ذلك التاريخ..

كم كان عدد الأسر؟.. أية أسرة بنت الأهرام؟.. متى بدأت عبادة آمون؟.. ما الاسم الأصلي لأخناتون؟.. أين يقع وادى الملوك؟

كم عامًا استمر كفاح (طيبة)؟.. من من الفراعنة شيد تمثال (أبو الهول) ولماذا؟.. من هو (بعنخي)؟ ومن هو (سنوحي)؟.. من هو... متى... لماذا... كيف...

كنا قد انتهينا أنا و(سلمى).. ولو كنا قد اقترفنا جريمة ما، فإننا في أتم حالاتنا النفسية لنعترف..!.. إن هؤلاء السادة لا يتعبون ولا يعرفون الرحمة.. وقد استحال عقلي إلى ذبابة قد فرغ من امتصاصها عنكبوت...

بعد أن طال التعذيب، قال الرجل غامض الوجه، وهو ينظر في ساعته:

- أعتقد أن الوقت قد حان كي ننهي هذه الجلسة.. لدينا هنا كمًا لا بأس به من المعلومات، وسيستغرق أسبوعًا أو أكثر

في التحقق منه، لهذا أشكركما.. وآمل - لمصلحتكما - أن تكونا على صواب!!

* * *

قرأ المدير الأوراق الأخيرة التي حملتها له مرة تلو مرة.. ثم قال دون حماس وهو يناولها لي:

- لا استريح كثيرًا للمجرى الجديد للأحداث.. إن القصة تتحول إلى استعراض لثقافتك الفرعونية ولا أحسب القاري واجدًا ما يشوقه وسط هذا الحشد من الأسماء والوقائع..

ابتلعت ريقي وقلت في شيء من نفاد الصبر:

- صبرًا سيدي.. إن اللهو لم يبدأ بعد..

- لهو؟!..
- نعم.. إن هذين الغريرين يحسبان أن ما يعرفان ويجهله هذا العالم لكفيل بأن يجلب لهما الرغد والثراء..
- هذا ما قلته أنت مرارًا.
استطردت في غموض وأنا أعيد أوراقي إلى الملف:
- لكنهما سيعرفان إلى أي حد كانا مخطئين....
سيعرفان ذلك بوضوح شديد..!!..

❋ ❋ ❋

٨ - شهرة..

لم نكن نعلم أنه في الوقت الذي غفونا فيه في فندقنا أنا و(سلمى)، كانت هناك جيوش من علماء الآثار تعيد البحث في معابد الصعيد.. وجيوش من المصورين تلتقط صورة دقيقة لآلاف النقوش الجدارية المنسية.. وجيوش من خبراء الكمبيوتر، عاكفة على تلقيم أجهزة الحاسب الآلي العملاقة في عدة وزارات، للتحقق من تكرارية النقوش، وتفنيد الاحتمالات المختلفة ومقارنتها...

وحول (رشيد) استحال الليل نهارًا، حيث سلطت الكشافات العملاقة.. وشرعت البلدوزرات تهدر كديناصورات أسطورية

تلتهم التراب بحثًا عن حجر صغير يحوي سر الحضارة.

كانت اللغة الهيروغليفية تولد من جديد، وبسرعة غير عادية.. إن البحث عن طلاسم لغة في عهد الكمبيوتر، يختلف - قطعًا - عن ذلك المجهود المحموم، الذي بذله (شامبليون) وحيدًا على ضوء شمعة.

كانوا يحتاجون إلى طرف خيط.. وقد قدمنا لهم عدة خيوط، كلها تقود إلى نفس الشيء..

* * *

في الأيام التالية تكررت جلسات (الاعتصار الذهني) إذا صح هذا التعبير..، وكان هؤلاء السادة يخصصون يومًا لكل

موضوع.. قصة الهرم.. إخناتون.. كليوباترا.. حتشبسوت.. إياح حتب.. حورمحب.. إلخ...

وعرفنا انهم - بعد كل استجواب - كانوا يشرعون في دراسة كل حرف ثم يرسلون فريقًا من علماء الآثار للبحث عن أي نقش يؤيد ما قلناه ويحاولون فهم كل كلمة في هذا النقش على ضوء كلامنا..

ثم جاء اليوم السعيد... اليوم الذي سمحوا لصحفي أن يقابلنا فيه..

كان شابًا ناحلًا تلتمع عيناه حماسة، وجبينه مندي بالعرق، ويداه ترتعشان وهو يسألنا عن كل شيء..، بالطبع لم أصارحه بقصة (ناقل الجزيئات)، وحاولت إعطاءه

الانطباع بأننا عرافان أو ساحران، أو أي شيء من هذا القبيل..

بعد هذا بدأت الأحاديث الصحفية لي تتوالى... لم أعد أذكركم صحفيًا أصلع الرأس، وكم صحفية تصبغ شعرها وتلوك اللبان قد قابلت.. لكني كنت في كل مرة أحكي شيئًا جديدًا...

وكان موضعنا في أية جريدة أو مجلة مضمونًا، في أية مرة نفتح فيها فمنا.. وغدت صورتي أنا و(سلمى) مألوفة لرجل الشارع.. لكن أحدًا لم يلحظ تشابهنا غير العادي..

صار اسم (رمسيس) و(خوفو) يترددان في وسائل الإعلام، وعلى المقاهي،

وعرف الناس (إخناتون) داعية التوحيد.. و(سنوحي) الفلاح الفصيح..

❋ ❋ ❋

على أن أكثر القصص التي أثارت شغف الناس، كانت هي قصة (كليوباترا ومارك أنطوني).. وبرغم أن المؤرخين اليونانيين حكوها، وبرغم أن (كليوباترا) لم تكن فرعونية تمامًا، فإن التفاصيل لم تكن واضحة كما حكيناها نحن..



وغدت صورتى أنا و (سلمى) مألوفة لرجل الشارع .. لكن
أحدًا لم يلحظ تشابهنا غير العادى ..

وسمعنا عن مسرحية بنفس الاسم، تقدمها مسارح (لندن)، ألفها شاب انجليزي واعد اسمه (ويليام شكسبير)!.. بالطبع استوحى الفكرة منا، لكنه لم يستأذننا.. اقترحت (سلمى) أن أقاضيه، لكني - وقد تذكرت ماضيّ المشين - رأيت أنه من العدل أن أترك سارق القصص هذا وشأنه، كنوع من التكفير عن سرقاتي السابقة..

ذات يوم جاء للفندق شاب وسيم تبدو في ملامحه سمة أرستقراطية لا تخطئها العين..، وقدم لنا نفسه باسم أحمد شوقي.. شاعر! ثم إنه طلب مني الإذن في السماح له بكتابة مسرحية شعرية، يكون اسمها (مصرع كليوباترا)!.!.

- إن هذا من حقك.. أنا لم أخترع القصة، والتاريخ ملك للجميع.. قلتها في تواضع، وأنا أقاوم رغبة جنونية في الصراخ فرحًا.. في هذا العالم سيكون لي الفضل في إلهام (أحمد شوقي) بفكرة مسرحيته الرائعة، ويا لها من مصادفة**!!**..

- وماذا ستقول فيها؟

فرك كفيه في حيرة.. وهز رأسه:

- لا أدري في الواقع.. لم أجلس لأكتبها بعد..

هرشت رأسي في تؤدة كأني أفكر.. ثم قلت:

- ابدأها بالبيت التالي..

قياما نشرب الخمرا على نخب كليوباترا

كرر هو البيت ورائي، محاولًا حفظه.. ثم مط شفته السفلى في اشمئزاز.. وغمغم:
- ليس سيئًا.. لكن يمكنني كتابة ما هو أفضل!!
قلت مقاومًا ضحكة خبيثة توشك أن تفلت مني:
- على كل حال. هذا مجرد اقتراح..، يمكنك - بعد إنهاء هذه المسرحية - أن تجرب كتابة مسرحية عن... عن... عن (قيس وليلى) أو (قمبيز) ملك الفرس..
بدت نظرة عدم فهم على وجهه.. فقلت على الفور:
- هذا - بالطبع - لو كنت تعرف هؤلاء..!
كيف لو عرف أنني أحفظ كل هذه المسرحيات عن ظهر قلب، قبل أن يخط

هو حرفًا واحدًا فيها؟!
وانصرف الشاب شاكرًا لي عطفي، دنت مني (سلمى)، وجلست أمامي حائرة.. وبعد هنيهة همست:
- (سالم).. إن ضميري ليس مستريحًا تمامًا.
- ولمه؟
- هذا الذي نفعله.. أعتقد أنه ليس أخلاقيًا تمامًا.. ثمة نوع ما من الخداع في كل هذا.. خداع لا أستطيع تعريفه
ثم مررت يدها عبر خصلات شعرها.. وهمست:
- قل لي إنه لا غبار على هذا كله.
نظرت لها في ثقة.. وابتسمت بزاوية فمي اليسرى:

- لا غبار يا ملاكي.. لا غبار.. فقط ثقي بي..

❋ ❋ ❋

هكذا ظلت ايامنا تمضي على هذه الوتيرة.. رسالة من المخرج الأمريكي (جوزف مانكوفتش) يطلب مني أن أعمل مستشارًا في فيلمه الضخم (كليوباترا)، الذي ستقوم ببطولته ممثلة اسمها (جلوريا سميث).. وافقت على شرط أن تقوم بالدور (اليزابث تايلور) - لو كانت عندهم واحدة - لأنها ستؤدي الدور بشكل أفضل**!!** شعراء يطلبون الإذن في نشر قصائد عن (كليوباترا) و(الكرنك)، وملحنون شبان

يطلبون تلحينها.. وكتاب سيناريو يطلبون كتابة سيناريو عن (إخناتون)..

الجديد، انني كنت أقدم قوالب جاهزة لكل هؤلاء كي يستعملوها.. حتى أن الملحن الشاب الذي عرفت أن اسمه (محمد عبد الوهاب) انبهر بشدة بالنداء المنبهر الملهوف (كليوباترا) الذي تبدأ به الأغنية التي تحمل هذا الاسم..

قال إنني عبقري فهززت رأسي في تواضع..

واقترح علي مخرج مثقف، اسمه (شادي عبد السلام)، أن يقدم فيلمًا عن قبيلة تتعيش من سرقة المومياوات.. سألني في شرود عن الاسم الذي يطلقه على الفيلم ففكرت حينًا، ثم قلت:

- لا يوجد سوى اسم واحد يناسبه.. سمه (المومياء)!..!
- اسم رائع..!.. أنت موهوب حقًا..!
هكذا - ترون - كنت منهمكًا لأذني وسط كل هذا.. وتحولت قاعة الاستقبال في الفندق إلى سيرك يضم مئات الشعراء والملحنين والرسامين والمخرجين وكتاب القصة.. وكلهم جاءوا من أجلي..
وتدريجيًا بدأت علاقتي تفتر ب (سلمى).. لم أعد أتذكرها إلا وقت النوم، حين تجلس على الفراش ترمقني في صمت بضع دقائق قبلما تكرر سؤالها الخالد:
- (سالم).. هل ضميرك مستريح؟
فأقول وأنا أندس لاهثًا تحت الأغطية:
- جدًا..!

لقد بدأ حسابي في المصرف يتضخم - أخيرًا - أنا الذي لا أعرف مكان أي مصرف في عالمي.. صحيح أنه حساب بعملة هذا الكوكب الغريبة، لكنه مال على كل حال، ويمكن - إذا أردنا الرحيل - أن نشتري به ذهبًا أو فضة أو يورانيوم (٢٧٣)، أو أية مادة يمكن استعمالها في الكواكب الأخرى..

- وماذا لو ذهبنا لأرض أخرى لا تعرف الذهب؟..

هكذا تقول (سلمى) متشائمة.. فأنظر لها في حنق وأقول:

- إذن نتركها على الفور إلى كوكب اخر.. إن الكوكب الذي لا يعرف الذهب، هو كوكب لا يستحقنا!!

فتنظر لي في حنان.. وتهمس:
- (سالم).. متى نرحل؟..
- حين.. حين ننتهي..
- ومتى ننتهي؟
- حين يعرفون ما نعرف...

❋ ❋ ❋

كانوا قد بدأوا ينقبون في وادي الملوك، واجدين المومياء تلو المومياء لملوك الفراعنة العظام..، وبفضل توجيهاتي، استطاع العلماء المصريون أن يجدوا مومياء (توت عنخ آمون)، منتزعين ذلك النصر من اللورد (كارنافون) و(هوارد كارتر) صاحبي الكشف في عالمي...

وتدريجيًا تراكمت الآثار.. حتى صارت حاجتهم ملحة لبناء ذلك المبنى الشامخ الأنيق، في ميدان (التحرير): المتحف المصري..، وبدأت السياحة تنتعش.. والأسماء الفرعونية العزيزة تحتل مكان الأسماء اليونانية السخيفة.. وتاريخ (مصر) القديمة يتشكل..

إنني عراف هذا العالم ولن ينتزع مني أحد ذلك المنصب...

ولكن.. ألا ترى معي شيئًا ما يثير الريبة في كل هذا النجاح؟!.. بلى؟.. وأنا كذلك أوافقك..

ثمة نذير شؤم يخيم على المناخ المزدهر.. إن الأمور لا تسير أبدًا بهذه البساطة والسلاسة..

ثمة كارثة تنتظرنا.. لا جدال في هذا..
ولكن أين؟.. وكيف؟.. وهل سننجو منها؟..
هذا ما ستعرفه بعد لحظات..

* * *

٩ - الجانب المظلم من القمر..

كنت عائدا إلى الفندق منهكًا، بعد يوم حافل، حين استوقفني موظف استقبال

الفندق (وهو بالمناسبة أبله تمامًا)، ليقول لي بابتسامة مشرقة:

- المدام ليست موجودة..

- حقًا؟..

- لقد غادرت منذ ساعة مع رجلين ضخمي الجثة!.. وقد خيل لي للحظة أن أحدهما يحمل مسدسًا مصوبًا نحوها، ويخفيه تحت معطفه، إلا أنني استبعدت هذا الاحتمال.. خاصة وأن المدام أخذت تختلس لي النظرات، وتأتي بحركات لا أفهمها بوجهها.. و...

قبل أن يكمل عبارته، كنت قد وثبت فوق (الكاونتر)، ممسكا بياقة حلته الحريرية.. والزبد يتساقط من فمي:

- ماذا قلت؟!..

أعاد لي سرد القصة في ارتباك، والرعب يتملكه..

يا لك من معتوه!..

لقد اختطفت زوجتي أمام عينيك.. وأنت لم تفهم حتى محاولتها لإخبارك أن هناك شيئًا على غير ما يرام..، ولكن كيف؟.. ومن؟.. ولماذا؟.. هل تركت لك رسالة ما؟

- نـ.. نعم.. قالت لك أن تقبع جوار التليفون..

أطلقت سراحه، وشرعت أثب السلالم ثلاثة ثلاثة قاصدًا غرفتي.. ذهني مضطرب كبكرة خيط لعبت بها قطة..، ودخلت الحجرة فلم أر ما يثير الريبة.. كل شيء في مكانه.. حتى جهاز (ناقل

الجزيئات) في موضعه تحت حشية الفراش..
إن قرحتي تتحرك، وآلامها تعتصرني..
جرس الهاتف يدق.. أجفلت وهرعت نحوه كالملسوع.. سمعت صوتها العزيز عبر الأسلاك مرهقًا خائفًا حبيبًا:.
- (سالم).. هذا أنا..
- طبعًا.. طبعًا.. أين أنت؟
سادت هنيهة من الصمت.. ثم عاد صوتها:
- لا أستطيع أن أقول.. إنهم شرسون يا (سالم)، ولا يعرفون المزاح، وهم ينذرونك إذا لم ترضخ لأوامرهم أن...
قلت في نفاد صبر:

- نعم.. نعم.. كالعادة.. سيرسلون لي أذنيك في طرد..!
- لا.. لا.. أسوأ من ذلك..
- سينتزعون أظفارك بالكماشة؟..
- بل أسوأ.. فهم يتمتعون بحاسة الابتكار للأسف.
وبدأت الدموع تغزو صوتها.. وأردفت منهنهة:
- سيضعون رأسي في كيس مليء بالفئران!
- الأوغاد!.. طريقة التعذيب الفيتنامية العتيقة...
وهنا سمعت صوت جلبة.. وفهمت أنهم انتزعوا منها السماعة.. ثم سمعت صوتًا فظًا يقول بلكنة أجنبية:

- والآن.. كفى مزاحًا.. نفذ أوامرنا وإلا...



وبدأت الدموع تغزو صوتها .. وأردفت منهنهة :

ـ سيضعون رأسي في كيس مليء بالفئران ! ..

ثم وضع السماعة، وساد الصمت!..
لقد نسي الحمقى أن يخبروني بأوامرهم!!.. إن هذا يثير الأعصاب!...
وهنا دق جرس التليفون ثانية.. رفعت السماعة في لهفة لأسمع ذلك الوغد يتكلم:
- معذرة!.. نسينا أن نوضح..
- لا عليك.. فهذا يحدث للجميع.. إن هموم الحياة..
- نريد منك خريطة تفصيلية لأماكن الكنوز الفرعونية التي لم تخبر بها السلطات واستبقيتها لنفسك.
- ومن قال إن عندي واحدة..؟

- لأننا لسنا حمقى..!.. انتظر مكالمة أخرى تحدد شروط اللقاء.. و..... كليك!

ساد الصمت مرة أخرى.. بعد ثوان عاد الجرس يدق فرفعت السماعة لأسمعه يقول في حرج واضح:

- نسيت أن أحذرك..

قلت في نفاد صبر:

- طبعًا.. طبعًا.. ولا كلمة للبوليس، وإلا لن أرى زوجتي.. أليس كذلك؟!

- بلى.. معذرة لشرود ذهني::

- لا عليك.. عمت مساء.. لا تؤذوها من أجلي..

ووضعت السماعة شارد الذهن أنا الآخر.. يا لها من كارثة!

* * *

كانت أوجاع القرحة تمزقني، لكني لم أستطع أن أفعل شيئًا آخر، سوى أن أجلس وحيدًا في غرفتي، أرشف فناجين القهوة، وأرمق جهاز الهاتف في تشاؤم..

يا لهم من حمقي!.. لقد ظنوا أننا نعرف عن كنوز الفراعنة أكثر مما كشفنا عنه.. وظنوا أنهم بالسيطرة علينا، يمتلكون مفاتيح خزائن (قارون).. لكن جعلهم يفهمون سيكون عسيرًا بعض الشيء.

والآن ليس لدي سوى أن أنتظر أو أبلغ الشرطة..

الحل الأول كفيل بإصابتي بالجنون.. أما الحل الثاني فلن يزيد على محاولة تتبع

خطوط الهاتف الأمر الذي لن ينقذني من الجنون أيضًا.. ولكن.. ثمة شيء غريب..

أشعر بالخوف لا القلق.. هناك فارق كبير بين الخوف والقلق، وفي حالتي هذه المفروض أن يقتلني القلق.. فماذا يخيفني؟!.

أشعر بالجوع برغم أنني تناولت عشائي.. وأشعر بالبرد برغم أن الغرفة دافئة..

إن تفسير هذا ليس عسيرًا.. هذه ليست مشاعري، بل هي مشاعر ذاتي الثانية - (سلمى) - في سجنها البعيد... لقد ألفت هذا الخلط ولم يعد يدهشني.. لكنه. في هذه المرة. سيكون مفتاحي للبحث عنها..

إنها كروموسوماتي.. وإنني لابد واجدها بشيء من الجهد لو تركت العنان لغرائزي.. إن كروموسوماتي النائمة في خلايا جسدي، لقادرة على إيجاد كروموسوماتي النائمة في خلايا (سلمى).. وسأفعل هذا وحدى دونما عون..

* * *

الأمر عسير..

شرعت أردد هذا لنفسي، وأنا أركب سيارتي الجديدة التي لم أحصل على رخصة قيادتها بعد ؛ وأجوب شوارع المدينة، مستسلمًا لشعور غامض، لا أعرف إلى أي حد هو صائب وإلى أي حد هو مزيف..

المشكلة - قلت لنفسي - أن ما يربط بيني و(سلمى) ليس نوعًا من التخاطر (التليباثي) وإلا لغدا العثور عليها سهلًا.. إنه نوع غريب من الانتماء، كالذي يجذب الساق المبتورة نحو صاحبها، إذا كان هناك حقًا شيء كهذا..!!

مشكلة الحضارة، هي أنها أتلفت - للأبد - غرائزنا البدائية.. وإن أي قط يحترم نفسه كان - حتمًا - سيجد زوجته، بعد ربع ساعة من اختفائها، لو كان في مكاني.. لكني لست قطًا للأسف!!

كنت أحمل معي جهاز (ناقل الجزيئات) والحنين والقلق يمزقانني، حين وجدت شيئًا يدفعني إلى السير في ذلك الشارع الجانبي..

* * *

كلا.. لا يمكن أن تكون هذه المدرسة هي وجهتي.. مدرسة ابتدائية تصدع مبناها لا يمكن أن تكون هي ضالتي..

كان الأطفال يملئون الشارع، في انتظار لحظة أن يفتح الباب الحديدي الصدئ، ليتراصوا في طابور الصباح.. ليلة كاملة انقضت علي في السيارة، غارقًا في حيرتي.. والآن المفروض أنني وصلت..

كان هو الذي تعرف على أولًا.. وجهه الشيطاني الأبله، ومريولته الزرقاء، والابتسامة الخبيثة بركن فمه الأيسر.. شريف!..، نسختنا الكروموسومية، التي نسينا عنها كل شيء.. يا للعنة!.. إذن

فكروموسومات هذا المعتوه هي التي قادتنا إلى هنا.. وكنت أقتفى أثرًا مضللًا طيلة الوقت.

- أونكل!.. مرحبًا!.. رأيتك في التلفاز البارحة!!

فتحت باب السيارة، ونزلت منها.. وانحنيت على ركبتي جواره.. وشرعت أفكر.. إنني أمقت هذا الطفل السخيف، لكنه قد يكون ذا عون لي.. أولًا سيساعدني مجيئه معي، على التخلص من جاذبية كروموسوماته المضللة.. ثانيًا لو وحدنا غريزتينا أنا وهو، فلربما استطاعت روحه البريئة الشفافة - لو كان يملك واحدة - أن تساعدني على إيجاد كروموسومات (سلمى)...

نظرت في عينيه.. وقلت:
- شريف.. أنت تذكرني و(سلمى) طبعًا؟
- طبعًا
- وتشعر أنك تنتمى لنا.. هل تفهم معنى (تنتمي)؟
- لا..!
- أعني.. تشعر أننا منك وأنك منا؟
- لا..!
- يا لك من حمار..!..
وهرشت رأسي مفكرًا.. كيف أوصل له فكرتي؟..
- حسن.. أنت شعرت بمقدمي يا (شريف) قبل أن تراني.. أليس كذلك؟
هز رأسه أن بلى..

- ثمة شيء ما يربط بيني وبينك وبين (طانط سلمى).. هل تذكرها؟
مرة أخرى هز رأسه أنٍ نعم..
قلت في خطورة باحثًا عن الأسلوب الأمثل، لإقناع هذا الشيطان الصغير:
- لقد خطفها اللصوص.. وسيقتلونها، وأنا بحاجة لمخبر عظيم مثلك يجدها لي.. فهلا ركبت معي..؟
بدا عليه الحماس.. ففتحت له باب السيارة.. واركبته جواري، ثم أدرت المحرك، حين سمعت صيحة من سيدة صارمة الوجه، تبدو كإحدى المربيات الفضليات، وهي تشق زحام الأطفال لتلحق بنا:

- أنت يا أستاذ!.. إلى أين تظن أنك تأخذ هذا الصبي؟!..

- معذرة يا سيدتي، فلا وقت عندي للشرح.. وانطلقت بالسيارة.. وفي المرأة الجانبية لمحتها تدون رقم سيارتي، في وريقة أخرجتها من حقيبتها.. لا ألومها، فقد قامت بواجبها على أكمل وجه، على أنني أتحمل الآن - بجانب كل أعبائي - عبء أن أثبت للشرطة أنني لم أختطف الطفل..!

- إنها أبله (اعتماد).. الناظرة!

قالها لي مفسرًا.. وضحك في بلاهة..، فزمجرت من بين أسناني:

- هذا واضح.. وأكون شاكرًا لو أغلقت فمك يا أخ (شريف)!

* * *

هل تشعر بها؟..هل تشعر بها؟..

من عالمها البعيد جاءت وغدت لي..، تعرف أسراري وأحلامي وتتجاوز عن سخافاتي ونقاط ضعفي..، إنها بريئة رقيقة.. فهل تشعر بها؟..

أمسك بالمقود بيدي اليسرى، وأضغط كف الطفل الصغيرة بيدي اليمني.. حاول أن تذوب في خلايا كفي.. حاول أن تتوحد معي وتفكر مثلي.. إننا حتمًا واجداها..، فقط ساعدني..

- هل نتجه يمينا أو يسارًا؟.. فكر أيها الطفل السخيف.. فكر...

فيضع إصبعه في فمه بحيرة.. ويهمس:

- لا أدري..
أضغط على أسناني وأصيح بوحشية:
- بل أنت تدري!.. فقط فكر..!.. اشعر..!
فتلتمع الدموع في عينيه.. ويسيل المخاط من أنفه.. ويهمس:
- يـ.. يسارًا..
فأدير مقود السيارة إلى اليسار، وأضغط دواسة البنزين.. يجب أن أرفق بهذا البائس الصغير.. إن الخوف يعتصر قلبي، ومعنى هذا أنه خائف!.. إنني أمقت نفسي، ومعنى هذا أنه يمقتني.. لا ريب أنني أبدو له وكأنني قد اختطفته..، لكني لا أملك السعة النفسية التي تسمح لي بأن أكون حنونًا حتى مع نفسي!..

وهكذا شرعنا نتحسس دربنا عبر شوارع القاهرة.. إننا نتجه نحو (حلوان).. ويا لها من رحلة مضنية.. يمينًا.. يسارًا.. يسارًا.. يمينًا.. هنا.. لا.. لا.. هناك.. بل هنا.. لا تقلق..

والآن ها نحن أولاء نرمق ذلك البيت المنعزل، عند أطراف المدينة، حيث حملتنا غريزتانا.. إن الإحساس الغامض يتملكني.. (سلمى) هنا..!.. لا ريب في ذلك..، نظرت لوجه الطفل فلمحت أنفاسه المبهورة تتلاحق من منخريه.. والحمرة تغزو خديه.. وهو لا يجد ما يفسر به ذلك الشعور العجيب..

قلت له مبللًا بلساني شفتي السفلى:

- إنه هو.. هل تشعر به؟

هز رأسه في انبهار.. وشرع يرمق البيت..، إنه إحساس لا يوصف، ولا يمكنني أن أقربه لك، وإلا لغدوت (شكسبير) هذا العصر..، لو أنك تفهم ما تشعر به تفاحة نحو تفاحة أخرى، على نفس غصن الشجرة ؛ لو أمكنك هذا لأرحتني من عناء الوصف**!**..

أدرت مقود السيارة متجهًا إلى أقرب قسم شرطة..، وأنزلت الصبي على مسافة معقولة.. ثم أصدرت له تعليماتي:

- ستدخل هناك، وتخبرهم انك قد ضللت الطريق.. وتطلعهم على اسمك وعنوانك..، لا تذكر حرفًا عني أو عن هذا البيت..، إنك قد قدمت لي عونًا لن أنساه..، يمكنك أن تثرثر كما تشاء حين تعود لدارك..

قال في حيرة:

- واللصوص؟.. هل ستحاربهم وحدك؟

ابتلعت ريقي.. وداعبت بأناملي شعر رأسه الخشن:

- سأحاول يا صغيري.. أعدك أنني سأحاول!!

* * *

١٠ - الهرب من جديد..

فكرة ملائمة.. فكرة ملائمة!..

إنه قدري أن أقضي حياتي، عاصرًا خلايا ذهني المنهكة، باحثًا عن فكرة.. إن مشكلتي الحالية ليست عسيرة.. بل هي - إلى حد ما - مستحيلة.. ها هو ذا البيت المكون من طابقين بجدرانه المتآكلة، التي تفوح منها رائحة القدم.. ثمة ماسورة مياه صدئة.. وبوابة حديدية مغلقة بقفل فظ، وجنزير كأنه منتزع من دبابة.. وداخل هذا المبنى.. زوجتي!..

والآن.. كيف أدخل؟!..

كلا.. ليس ملائمًا أن أبلغ البوليس، لأن الأمر برمته مجرد حدس.. ولست مولعًا برؤية رد فعلهم إذا ما تبين أنني معتوه..

كلا.. ليس ملائمًا - أيضًا - أن أطرق الباب، لأنني لا أملك أية حيلة أبرر بها

قدومي.. ولا أملك أية فكرة عن الوضع بالداخل.. أتسلق المواسير؟.. لا تكن سخيفًا.. أنا لست لصًا محترفًا، ولست - بالطبع - قردًا.. لن تستفيد (سلمى) شيئًا من تهشم جمجمتي..

فكرة ملائمة.. فكرة ملائمة!؟

كل ما أحتاج إليه هو جزء من الثانية.. إصبع من أصابعها.. ألمسه وأضغط أي رقم على (ناقل الجزيئات)، من ثم نفر نهائيًا بعيدًا عن هذا العالم المشئوم.. لا أريد ما جمعت من مال.. لا أريد شيئًا.. أريد صغيرتي البائسة، التي لم أشعر بمعناها في عالمي، إلا بعد أن فقدتها أو كدت..، فقط أعطوني فرصة لأهرب معها..

بعيدًا.. بعيدًا....

* * *

- هل تريد شيئًا..؟!

كان هذا هو السؤال الذي حسم الموقف نهائيًا..، إذ بينما أنا شارد في خواطري الجنونية، شعرت بتلك الكف الباردة كالثلج الغليظة كالصخر تهبط على قفاي...

التفت في هلع، لأرى أسوأ كوابيسي، وقد غدا واقفًا..، إنه رجل ضخم الجثة شرس المحيا، يقف خلفي ويرمقني في شك..

إذن صدق حدسي.. لابد أن هذا هو مقر العصابة.. وهذا الوحش هو من كلفوه بحراسة البيت.. كيف فاتني ذلك؟

حاولت أن أقول شيئًا.. أن أفسر.. لكن كلامي جاء - بالطبع - مجرد دمية بلهاء لا تفسر شيئًا..، من الواضح تمامًا أن هذا الوغد مسلح..

وحتى دون سلاح، ستلعب عضلاته دورًا حاسمًا في أي صراع محتمل..

- قلت ماذا تفعل؟

- مـ.. مـ.. بـ.. فـ.. لـ.. ص.. ش.. هـ.. مـ..!

- إذن تعال معي..!

ودون مناقشة جرني جرًا، وأولج مفتاحًا في قفل الباب الغليظ، وهو يسب ويلعن..، ووجدت نفسي أصعد في درجات رطبة شيطانية الرائحة، وثمة قط أجرب يرمقني في دهشة..

وعند الطابق الأول مد يده وفتح بابًا.. دخلت خلفه إلى صالة أنيقة نسبيًا، تنم عن ذوق لا بأس به في الأثاث..، وعلى مقاعد (أنتريه) حديث الطراز كان هناك بعض الرجال جالسين يدخنون، وقد بدا عليهم الارتباك حين رأوني.. ورمقوا حارسي في تساؤل..

قال الرجل مفسرًا وهو يطلق سراحي:

- كان يتسكع بالجوار.. ولم يعطني تفسيرًا مقنعًا..

كان الرجال يملكون عدة وجوه، لا أجد ما يدعونني لوصفها إلا إذا كنت تحب الثرثرة على غرار: رجل في منتصف العمر نصف أصلع ضخم الجثة وله شارب!.. كانوا رجالاً وكفى..!، فقط

أحدهم بدا لي أجنبيًا إلى حد ما، وقوي الشخصية، مما يوحي بالزعامة..

وهنا.. وهنا حدث ما أخشاه..

ضاقت عيونهم فجأة شأن من يتذكر شيئًا ما.. ثم بدت عليهم علامات الفهم... وصاح أحدهم في لهجة (أرشميديسية) بحتة:

- لكنه... إنه...

فساعده الآخر على التذكر:

- نعم.. هو.. زوجها..!.. لقد جاء بنفسه!..

- وكيف استطاع أن..؟

- أليس هو عراف العصر؟!

وساد المكان جو من التحفز.. تصلبوا وقوفًا والتفوا من حولي..

قلت في حنق، وأنا أشعر أن الأمر كله قد غدا سخيفًا:

- أين زوجتي؟

أشار الأجنبي إشارة ذات معنى إلى حارسي.. ثم تأملني بعينين زرقاوين لا تطرفان..، وقال نافثًا دخان سيجاره في وجهي:

- إنها بخير.. بخير يا سيدي..

إنها تلك العربية ذات اللكنة الأجنبية التي سمعتها في الهاتف..

- أقدم لك نفسي.. (هنريكه شولتزمان).. لص آثار محترف...

- وشارد الذهن كذلك..!...

ابتسم في شيء من الخجل..، وأشار إلى.. إلى (سلمى) التي جاءت مع حارسها

من مكان لا أعرفه.. كانت في حال طيبة.. وقد بدا عليها الذهول حين رأتني، ثم تبدلت نظرتها إلى ابتسامة بزاوية فمها اليسرى.. فخر الأنوثة والاطمئنان، و... الحنين..!... كانت واثقة من أنني سأجدها..

قال الرجل في مودة:

- هأنتذا ترى أننا لسنا بهذه الشراسة..، وحالتها أفضل بمراحل من حالتك.. لكم تبدو مشوشًا..!..

ثم أشار لها كي تجلس.. وعاد يرمقني في ثبات:

- وحيد؟...

لم أدر كيف أجيب.. هل من الحكمة أن أتظاهر بأنني لست وحيدًا؟ أم أن هذا سيدفعهم لتصرف أحمق متعجل؟! على أنه

وفر على عبء الإجابة... إذ افترض مسبقًا أنني لست وحدي..
في رزانة مد يده إلى جيبي وشرع يعبث هنا وهناك.. ثم أخرجها ممسكة به.. جهاز (ناقل الجزيئات)..
هتف أحد الواقفين في جزع:
- هذا جهاز (تتبع) خاص بالشرطة!.. إنهم خلفه..!
يا لك من أحمق..!.. كدت أبدأ في الصراخ مقسمًا لهم إنه ليس كما يظنون.. إلا أن الهر (شولتزمان) أخذ يتأمل الجهاز في خبرة بضع ثوان..، ثم هز رأسه:
- لا أعتقد يا (حلمي).. لقد رأيت العديد من هذه الأجهزة، ولا أحسبه واحدًا منها..، إنه أقرب للآلة الحاسبة.

تنهدت الصعداء.. لقد نجونا!.. وهنا سمعته يواصل الكلام مناولًا الجهاز لـ (حلمي) هذا:
- لكننا لن نترك شيئًا للظروف.. خذه.. وتأكد من تحطيمه..

* * *

مرة أخرى يا (سلمى) تبرهنين لي أنك الأكثر ذكاء وحكمة..، كيف كانت ستخطر لي فكرة مماثلة كالتي بادر عقلك إلى ارتجالها؟..
ما إن أمسك المدعو (حلمي) بالجهاز، قاصدًا المكان الذي يحطمون فيه الأجهزة - إن كان عندهم واحد - حتى صرخت في هستيريا واثبة من مقعدها:

- أيها السفاح..!.. إنك تقتله!!.

نظر لها الرجل في بلاهة - وأنا كذلك – فبادرت مفسرة:

- إنه (منظم ضربات القلب) الخاص به.. ومن دونه يتوقف قلبه خلال ثوان!!.. انظر له!.. إنه يموت!!..

منظم ضربات قلب؟.. فكرة لا بأس بها.. أعرف شيئًا كهذا، لأن عمًا لي كان يحمل جهازًا مماثلًا، ومن دونه تختل الإيقاعية الكهربية لعضلة قلبه.. و... المهم الآن أن أتظاهر بأنني أصبت بنوبة قلبية.. أمل ألا يكون بينهم طبيب أمراض قلب، أو لديهم رسام قلب كهربائي..!

لم أحتج لكثير من الجهد، لأن توتر الموقف تكفل بجعل أطرافي باردة كالثلج..

ولعاب كثير سال من شدقي.. و.... سقطت على الأرض كصخرة تهوي من قمة جبل.. وسط عويل (سلمى):

- أيها الأوغاد!.. زوجي!.. أعيدوا الجهاز!!..

تكفلت (سلمى) بلعب دورها ببراعة، أغرقتهم في بحر من الدموع والصراخ الهستيري واللكمات، حتى لم تترك لهم فرصة للتأكد مما إذا كان في الأمر خدعة..، لقد أصابهم الذعر الهستيري هم أيضًا..

صاح الأجنبي في هلع:

- حسن.. حسن.. اعيدوا له الجهاز.. كفي عن الصراخ يا امرأة!

وهكذا شعرت بيد تدس الجهاز في جيبي..، وعلى الفور بدأت علامات التحسن التدريجي تبدو علي!!.. وفتحت عيني في إنهاك.

- غريب هذا..

قالها الأجنبي وهو يهرش رأسه:

- أنا واثق أن (منظم الضربات) لا يبدو كهذا.. لكنى - على كل حال - متأكد من أنه ليس جهاز اقتفاء أثر..، على العموم سنخاطر.. إنني أريدك حيًا.. احتفظ بلعبتك هذه إذن.

انحنت (سلمى) فوقي وأخذت تجفف العرق البارد من على جبيني...

همست لها وأنا ألهث:

- منظم ضربات؟!.. يا لها من فكرة..!

قالت في حنق من بين أسنانها:
- لم أجد فكرة أفضل.. لماذا لم تنقذ أنت الموقف..؟
جلس الهر (شولتزمان) على الأريكة جواري.. وداعب بأنامله ركني فمه كمن يفكر.. ثم قال بعد هنيهة:
- الآن يا هر (سالم) أعتقد أن تعاونك أمر مفروغ منه.. إن ذكاءك يسمح لك بتخيل ما سنفعله.. لن يتم أي نوع من الإيذاء لشخصك، بل لشخص يهمك أمره، ولن أذكر اسمه طبعًا..!
قال أحد الجالسين في شك:
- إنني أرجو أن يفسر لنا أولًا سر مجيئه.. قد نكون في خطر داهم في هذه اللحظات..

ابتسم الهر (شولتزمان) في ثقة، وبدأ يفسر وجهة نظره:

- لا أظن.. إن الشرطة لم تكن لتغامر بشخص شديد الأهمية مثله للبحث عن مقرنا.. على الأقل كانت سترسل مخبرًا لاستكشاف المكان، أو كانوا سيقنعونه - كالعادة بالانتظار حتى يعرف مكان الصفقة، ويتم تتبع مندوبنا..، إن الأمر كله لا يزيد على مغامرة فردية يائسة، قام بها الهر (سالم) مستعينًا بموهبته التي نجهل عنها كل شيء، وحاسبًا نفسه بطلًا من أبطال السينما.. مثل (هنري جيسون)..

من هو هذا الـ (هنري. جيسون)؟.. أعتقد أنه معادل (جيمس بوند) على هذا الكوكب..!، على أن الثعلب قد أجاد

الاستنتاج حقًا.. كل ما أريده لحظة انفراد تتيح لي معالجة أرقام الجهاز.. لحظة واحدة.. ترى متى سيقومون بسجننا؟..

قال الهر (شولتزمان) في تؤدة:

- على كل حال.. لا أرى ما يمنع تغيير مقرنا بأقصى سرعة..

- رأي صائب..

وفي هذه اللحظة..

دوى صوت ضربات عنيدة صارمة على الباب الحديدي للبيت...

الباب المغلق.. لحظات من التوتر.. ثم هرع أحدهم يختلس نظرة بين خصاص النافذة الخشبية.. وهتف في هلع:

- شرطيان!!..

* * *

- يا للكارثة!

واستدارت العيون نحوي ترمقني في اتهام...

لابد أنه الطفل (شريف).. لم يحفظ وعده لي.. وفي المخفر حدثهم عن اختطافه وعني وأشياء مريبة كثيرة، جعلتهم يصممون على زيارة البيت الذي أخذته إليه، ليعرفوا ما هنالك.. بالطبع هم يؤمنون أن الطفل يهذي بخياله الواسع.. وبالطبع هم لم يعيروا الأمر أية جدية، لكن رد فعل هؤلاء الأوغاد لن يكون سهلًا..

التمعت عينا الأجنبي في وحشية.. وهتف:

- كان حدسي خاطئًا يا هر (سالم).. لكن دعني أؤكد لك أن أوان المزاح قد انتهى.. أية محاولة لتحذيرهم ستكون وبالًا عليكما..

وأشار إلى الرجل قوي البنيان، الذي ألقي القبض على.. وأمره:

- أخفهما في البدروم.. ثم افتح الباب وتظاهر بالبراءة.

أخرج الرجل مسدسًا قبيح الشكل فوهته أطول من اللازم مما جعلني أدرك أنه مزود بكاتم صوت..، وفي احتراف أشار لنا كي نتقدمه إلى باب خلفي..

باب يقود إلى درجات محطمة، تقود بدورها إلى قبو عفن مظلم..

كانت (سلمى) ترتجف رعبًا.. أما أنا فكنت أتحرق شوقًا إلى اللحظة التي يتركنا فيها هذا الثور وحيدين، كي تتلامس يدانا.. ونضغط زر الجهاز الحبيب..

كان قبوًا كأي قبو آخر، لا يميزه سوي عمودين خشبيين لا يصلحان سوى لشيء واحد... وبالفعل تناول الرجل حبلًا ليفيًا ملقى على الأرض.. وأشار لـ (سلمى) تجاهي.. وهتف:

- هيا..!.. قيديه سريعًا ثم قفي لأقيدك!!

❋ ❋ ❋

كلا..!.. إن الهرب يحتاج لأن تكون يداي حرتين..
دون أية كلمات مددت يدي لجيبي مخرجًا الجهاز وقذفته إلى (سلمى).. ثم استدرت نحو الرجل.. سأراهن على شيء واحد.. أنه لن يطلق علينا الرصاص دون تعليمات عليا من رئيسه..
وهكذا ألقيت بجسدي على المسدس ووجهت فوهته بعيدًا..
يالقوة الرجل الكاسحة!.. كأنني أصارع جرارًا.. الشرايين توشك أن تنفجر في فودي.. لكني سأصمد..



وبالفعـل تنـاول الـرجل حبلاً ليفيًّا مُلقى على الأرض .. وأشـار لـ (سلمى) تجاهي ..

الطرقات تزداد شراسة وعنفًا على الباب الحديدي الصدئ..

- (سلمى)!.. مـ.. ماذا تنتظرين؟..

صفعة شرسة على خدي.. لكمة مروعة مزقت شفتي.. مذاق الدم الصدئ.. في الواقع كنت عمليًا أتدلى من المسدس بينما الثور يطوح بي في هواء البدروم، ويوجه لي ضربات غير آدمية.. تلاشي عقلي تمامًا مستشعرًا أنني خفاش متعلق في ساق دابة..

على كل حال هو لم يطلق رصاصة واحدة، مما يدلني على أنه في حيرة من أمره.. ولم تكن قوته الكاسحة لتدع له حاجة لأن يطلق...

- (سلمى)!.. أيتها الحمقاء!!

الطرقات تزداد شراسة.. وعيي يتسرب مني.. أنشب أسناني في كفه فيسب ويوجه لي المزيد من اللكمات..

- (سلمى)..!..

- اتركه يا (سالم)!.. اتركه وإلا أخذناه معنا!!..

اتركه؟.. يا لها من كارثة!.. إن تركه أعقد من التشبث به... و... لكمة عارمة وجهها لي كانت هي فرصتي.. فتركتها تقذفني إلى الحائط، لأسقط جوار (سلمى).. (سلمى) التي واصلت ضغط أزرار الجهاز في برود كأن ما يحدث لا يعنيها.. ثم في صرامة أمسكت يدي.. وهتفت بين أسنانها:

- هيّا..!

وضغطت زر الإدخال..

فلم يحدث شيء..!!

❋ ❋ ❋

١١ - الخاتمة..

يا للكارثة!..

لم يحدث شيء!..

بينما ذلك الثور يتقدم نحونا، وعلى وجهه نظرة لا داعي لوصفها...

- (سلمى)... ماذا حدث؟

- لا أعرف.. ربما هي البطاريات..

في هذه المرة يرفع الثور مسدسه نحونا.. وينفرج ثغره عن ضحكة ذئب..

- (سلمى)!.. افعلي شيئًا...

- صبرًا.. ربما لو أعدت ترتيب الـ... نعم.. هكذا. الثور يتقدم.. أقسم أنني أرى الزبد يسيل من شدقيه..

- (سلمى)!..
- حسن..!.. امسك يدي.. هيا...
و....
اختفى القبو من حولنا..

* * *

اخيرًا...
ها نحن أولاء ذائبان في الزمان والمكان.. لكم قتلني الهلع.. ما شعوري لو رأيتك جواري محملقة العينين والدم ينز من ثقب في جبينك؟!..
- يا لك من بشع!!..
يضايقني أننا لم نعاقب هؤلاء الأوغاد.. كلا.. لا تحسب أنهم نجوا.. فالشرطة ستجد عندهم أشياء مريبة عديدة..

حقيبتي.. فردة من حذائك، وبقعًا من دمك في القبو.. ثم هم لابد يخفون أشياء أخرى لا يسرهم أن يجدها رجال الشرطة..

- دعينا ننس كل هذا..

دعينا نستمتع برحلتنا هذه عبر المجرات..

- أنت نسيت كل شيء عني.. أهملتني تمامًا حين وجدت النجاح..

- لقد كنت أحمق.. هذا هو كل شيء.

- هل ترى هذه المجرة؟.. إنها وطننا الجديد.. الكوكب رقم.. رقم.. لقد نسيت.. ضغطت الأرقام عشوائيًا..

لا يهم.. يكفينا أننا معًا.. معًا..

* * *

قرأ المدير الأوراق الأخيرة فانفرجت أساريره (أخيرًا):
- لا بأس يا (سالم).. كنت أريد بعض (الضرب).. بعض اللكمات والركلات من أجل شيء من الحيوية..، إن الفكرة لا بأس بها، والآن أعتقد أنك ستستمر في هذه السلسلة..؟
- بالطبع يا سيدي.
- وما هي الحلقة التالية؟
هرشت رأسي في إرهاق.. ثم قلت:
- لم أفكر بعد يا سيدي.. أعطني فرصة.
ضغط المدير على السيجار بأسنانه.. وغمغم:
- حسن.. لن أطبع هذه قبل أن تأتيني بعدة حلقات.. إن ما أريده هو الاستمرارية..

هذا ما يجب أن أتأكد منه..
ونظر في عيني بثبات مؤكدًا كلماته:
- الاسـ.. تـ.. مـ.. ر.. ا.. ر.. يـ.. ـة..!

* * *

أعدت لي (سلمى) قدحًا من القهوة، وجلست جواري تداعب قطتنا الصغيرة، وابتسمت بزاوية فمها اليسرى:
- ألا تخشى أن ينكشف الأمر؟!..
رشفت رشفة من فنجان القهوة.. وقلت:
- أن يعرف المدير الحقيقة؟.. أن قصتي الجديدة عن (سلمى) القادمة من عالم مواز هي حقيقة واقعة؟.. لا أظن يا ملاكي.. من الصعب أن يتخيل أحد ذلك..!

- وماذا إذا عرف ما هو اسوأ. أننا نحن معًا قادمان من أرض أخرى، إلى هذا العالم الموازي، باحثين عن النجاح عن طريق سرد مغامراتنا؟.. لا أظن.. ولن يتخيل.. إنه يظن أن هذا الكوكب هو الأرض الأصلية، في حين أن الأرض الأصلية بالنسبة لي هي الكوكب (١١٢-ب- ٧٥).. وبالنسبة لك هي الكوكب (٤١٩-أ-مجرة [تازما مالوري])...

- أي أن المدير نفسه يعيش في كوكب من كواكب مغامراتنا..؟

ثم أمسكت رأسها.. وضحكت:

- سيصيبني الدوار..!.. أرجوك كفى!!..

ثم إنها أطلقت سراح القطة.. وتساءلت:

- ما هي قصتك التالية؟!

وضعت فنجان القهوة ومسحت فمي:
- لتكن قصتنا مع... مع المغول..
- لكنها شنيعة.
-.. والمقبرة.. والمومياء المحترقة.. و...
- هيه!.. لا تفسد القصة أرجوك.. اكتبها الآن..!
وأنتم يا رفاق..؟.. أريد أن أطمئن قبل أن أفارقكم. هل ستلحقون بنا في...
أرض المغول؟!!

* * *

١٢ - ما بعد الخاتمة...

مرحبًا يا رفاق..!.. مضيفكم (رفعت إسماعيل) يعود إليكم بعد انتهاء هذه القصة العجيبة التي رواها لنا (سالم)..

لن ألقى أحكامًا على عواهنها.. ولن أزعم أنه معتوه - برغم أن الإغراء شديد - ولن أدعي أنه نصاب - وما أمتع أن أقولها - بل سأكتفي بأن أحك رأسي الأصلع، وأغمغم أن كل هذا غريب.. غريب إلى حد لا يوصف..

إن لغزًا من أكثر الألغاز غرابة يحيط بهذا الفتى الخجول، وزوجته اللطيفة التي تشبهه. بالمناسبة - إلى حد مريب!..، ومهما كان رأيكم في قصته هذه، فلا أخال

أحدكم يجادلني في أنها كانت جديرة بأن أحكيها لكم..

بصيص آخر يلتمع لعيني من عالم ما وراء الطبيعة.. عالم الألغاز التي سنموت ويموت أحفادنا قبل أن نراها، دعك من أن نجد لها تفسيرًا..

والآن.. لقد انتهى دوري.. سأعود في القصص القادمة إلى ذكرياتي الشنيعة، التي لا أجد أرق منها كي أحكيه للأسف!..، على أنني أعدكم أن أشارككم في كل قصة جديدة، يحكيها لي هذا الزميل الغامض.

والآن أعود لعالمي الكئيب..

كان هذا في أوائل عام ١٩٦٧، حين تبدلت مفاهيمي وآرائي في كثير من

الأمور، إثر صدامي مع كائن لم أتوقع أبدًا أن له وجودًا، حتى في أشد كوابيسي شناعة..

لكن هذه قصة أخرى!

د. رفعت إسماعيل
القاهرة – ١٩٩٢

[تمت بحمد الله]

رقم *الإيداع:* ١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و ١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة





د. أحمد خالد توفيق

أسطورة أرض أخرى

إنه حلم ..
لكنك ستعيشه كأنه واقع ... أرض أخرى تشبه أرضنا كثيرًا .. و تختلف عنها كثيرًا .. (أنت) آخر يشبهك كثيرًا .. ويختلف عنك كثيرًا .. دع له يدك كى يقودك عبر دهاليز ذلك العالم العجيب .. إنه حلم .. و لكن هل نفيق منه حقـًا؟

العدد القادم : أسطورة لعنة الفرعون

الثمن في مصر ـــــ ص
وما يعادله بالدولار الامريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ – ٢٨٣٥٥٥٤ – ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

الفيلسوف الألماني (فيخته).. وعندنا واحد منه لحسن الحظ!

[←2]

مؤرخ يوناني عظيم.. ويطلقون عليه (أبو التاريخ).